أبناء الملتزمين

توريث الالتزام .. آباء تهوى و أبناء تأبى

إعداد
عبد الرحمن ضاحي





بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد:

ظهرت في الآونة الأخيرة مشكلة عانى منها الكثير من الملتزمين، لا أكاد أقابل أحدًا من داخل الوسط الإلتزامي أو خارجه إلا ويجزم بانتشارها، وهي ظاهرة يدمي لها القلب من تكرار حدوثها، ألا وهي ظاهرة انحراف (أبناء الملتزمين)، وقد بحثت كثيرًا في الكتب والمواقع التربوية وللأسف ما وجدت عليها حلًّا للمشكلة، إلا القليل الذي لا يتناسب مع حجم هذه المشكلة التي بدأت تتفشى بشكل مرعب.

نؤمن بحديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء**»، ولكن حري بنا أن نأخذ بالأسباب التي تصرف أبناءنا للخير والهدى، ونحذر أشد الحذر من المزالق التربوية والتصرفات الخاطئة التي تقود أبناءنا للانحراف عن طريق النور.

لذلك حاولت التطرق في هذا البحث لهذه المشكلة ودراستها بشكل تحليلي؛ وتتبع لأسبابها وبواعثها والقضاء عليها من خلال العلاج، وقد حرصت كل الحرص أن أجري البحث على حالات واقعية ناتجة عن احتكاك سنوات بالعمل التربوي مع هذه الفئة على مستوى جميع الفصائل الإسلامية.

ولكن قبل أن نبدأ علينا أن ندرك أن أبناء الملتزمين كبقية البشر، يعانون من نفس المشاكل ويفرحون بنفس الأشياء، فلا تتخيل أن أبناء الملتزمين هم فئة خاصة لها تعامل تربوي خاص، ولا تتخيل أنك ستقابل في هذا البحث حلًّا سحريًّا ينجز المهمة التي أثقلت كاهلك، فالأمر كله تصحيح لبعض الخبرات التربوية الخاطئة، وتسليط للأضواء على استرشادات ناجحة في طريق تربية الأبناء.

عبد الرحمن ضاحي

تمهيد

مع بداية الصحوة الإسلامية في السبعينيات والثمانينيات وانتشار الوعي الديني في الأرجاء، وحين عزم هذا الجيل جيل الصحوة على الزواج ظننا بل تيقنا أنهم سيُخرجون للأمة الإسلامية جيل النصر والتمكين الذي على يده سيكون النصر للإسلام، ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، وجدنا أنهم أخرجوا جيلًا غير المتوقع إلا من رحم الله، جيلًا سلك سبلًا أخرى غير الالتزام بالشرع، جيلًا ينطبق عليه قوله تعالى والعياذ بالله ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، جيلًا متمردًا على توريث الالتزام رافعًا شعار «لن أعيش فى جلباب أبي».

فكلما طرقت هذا الباب مع بعض الأفراد من التيار الإسلامي أجده متألمًا متوجعًا منه، ووجدت الشكوى منه متكررة، فيبدو أننا نؤتى من قِبله ونحن لا نشعر، ينشغل أحدنا بتربية الأفراد فى المساجد ودعوة الناس ولا يدري بالجرح الغائر فى بيته والوباء الذء الذي بدأ

يحل على أغلب بيوت التيار الإسلامي، إنه داء «أبناء الملتزمين» الذي ظن البعض يومًا أنهم من سيكونون إضافة للصحوة الإسلامية، ولكن وللأسف صاروا عبئًا ثقيلًا وصاروا علامة تعجب تربوية كبيرة.

١- ملتزمٌ التزامًا شخصيًّا دون أي جهد دعوي يفعله.

٢- يكتفي بأداء الفرائض مع التساهل فيما يتساهل فيه كثير من الناس من جلوسٍ على المقاهي وسماعٍ للأغاني.

٣- البعض تستهويه تيارات فكرية أخرى، غير إسلامية، تجذبه إليه بشعاراتها البراقة.

٤- مقتنع بالالتزام وضرورة التمسك بالشرع ولكن غير منفذٍ له.

٥- غير مقتنع بالالتزام ولا بالتطبيق، مع الوصول إلى دركات انحراف منحطة كالخمر والزنا وموبقات أخرى.

ومن هنا يأتي السؤال؟

ما سبب هذا الداء الذي دب في صفوف الملتزمين؟!، ولماذا لم يخرج من أصلابهم الجيل المنشود؟!، ومن السبب في خروج هذه الأمثلة من الأبناء؟!

وقبل أن ندخل في الأسباب والعلاج أود أن أطرح بعض القضايا المتعلقة بالتربية لتكون بمثابة تمهيدًا لدراسة للمشكلة:

١- تعريف التربية:

«هي مجموعة المعلومات والخبرات التي نحتاج إليها في طرق تهذيب الأبناء وتنشئتهم النشأة الصالحة، وفي التعامل مع مشكلاتهم وأخطائهم... وأيضًا هي عملية معقدة جدًّا، تتطلب قدرًا من المعرفة والحكمة، وقدرًا جيدًا من الاتزان الانفعالي لدى المربي، إلى جانب قدرًا من الخبرة والممارسة العملية»[(١)].

٢- هل تربية الأولاد فرض أم سنة؟

تربية الأولاد فرض، وهو أمر من الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦]،وهذا أمر من المولى عَزَّوَجَلَّ بوقاية النفس والأهل من النار، وذلك لا يكون إلا بالتوجيه والتربية، فالمفرط في تربية أولاده آثم، لقول رسول الله

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[٨].

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1]، فتربية الأولاد فرض وليست سنة أو عمل مستحب.

٣- هناك أطفال صالحون بدون أي جهد تربوي، وهناك فاسدون مع بذل الجهد التربوي معهم، فما هذا اللغز؟!

هناك نوعان من الهداية:

١- هداية إرشاد ودلالة: وهي الهداية عن طريق الإرشاد إلى طريق الطاعة التي يرضاها الله، وهو الجهد المبذول من النبيين والمرسلين مع المدعوين؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] وأيضًا هو الجهد المبذول من الآباء والمربين مع الأبناء لتحقيق المستوى الأعلى من هداية الإرشاد وهي هداية التوفيق.

٢- هداية توفيقية: وهي مستوى هداية أعلى من هداية الإرشاد والدلالة؛ لأنها من الله، وهي تحدث بالاصطفاء من الله لأنه يعلم السر وأخفى، فسبحانه القائل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

(١) «صحيح البخاري» [٨٩٣]، «صحيح مسلم» [١٨٢٩].

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، وقال أيضًا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقال أيضا على لسان نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡ﴾ [هود: ٣٤].

فنقول: إن الأطفال الصالحين بدون جهد تربوي، قد منَّ الله عليهم بهداية التوفيق، أما الأطفال الفاسدين مع بذل المجهود التربوي معهم، قد تحقق معهم هداية الإرشاد والدلالة؛ ولكن ينقصهم هداية التوفيق، وهي من عند الله، فعليهم بالدعاء والتضرع إلى الله ومراجعة أسلوب هداية الإرشاد والدلالة، فمن الممكن أن يكون خاطئ.



١- الاختلال الأسري

الاختلال الأسري من أهم أسباب فساد الأبناء، فتربية الأبناء مسؤولية مشتركة بين الأبوين، ومن مظاهر الاختلال:

١- عدم الاتفاق في الرؤية:

وهي عدم اتفاق الزوجين على رؤية واحدة في تربية الأبناء من حيث الالتزام، فحين تجد طرفًا يحرص كل الحرص على التزام أبنائه تجد الطرف الآخر لا يلقي لهذا الأمر بالًا، فللأسف هذا الطرف يكافح كفاح الخمسين في المائة، وهذا المثال يتضح في امرأة نوح حين كانت السبب في هلاك ابنها حين ظن أن عقيدة أمه وقومه جبل سيعصمه من الماء ولكنه غرق في أوحال الكفر والضلال.

٢- تفاوت درجة الالتزام:

وذلك حين تجد الأب ملتزمًا بشرائع الله ويخشى الله ويتقيه، وتجد الأم أقل درجة، أو دون المستوى في الالتزام، أو العكس، وضعف مستوى الالتزام يتمثل في التفريط في الطاعات وارتكاب

المعاصي والنواهي كمشاهدة الأفلام والمسلسلات، مما يجعل هذا الأمر أمرًا عاديًّا عند الطفل، فكيف يرجى من هذا الطفل التزاما!!.

ولكي ننضع أيدينا على العلاج لابد من معرفة مكمن الداء، ألا وهو عدم الاختيار الصائب للزوجة أو الزوج؛ فالنبي ﷺ جعل المعيار الأساسي هو الدين فقال ﷺ: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(١)، وهذا ليس معناه إهمال الجمال وحسن النسب، ولكن جعل معيار الدين سابقًا لتلك الصفات، وقال ﷺ أيضًا: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(٢).

فلماذا حرص النبي ﷺ كل هذا الحرص على أن يكون الدين هو المعيار الرئيس للاختيار؟!؛ لأنه يحرص على إقامة عملية تربوية ناجحة ومتوازنة، لا أن يبني شخصًا ويهدم آخر، فحين يكون

---

(١) «صحيح البخاري» [٥٠٩٠]، «صحيح مسلم» [١٤٦٦].

(٢) «صحيح الجامع» للألباني [٢٧٠].

الأب والأم ملتزمين بشريعة الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجد البناء مكتملًا، فعلى سبيل المثال لما توافرت الظروف التربوية السليمة لسيدنا إسماعيل في أسرة يدفع فيها الأب والأم في إتجاه واحد نشأ نشأة صالحة أوصلته إلى طاعة والده في أمر ذبحه؛ لأنه امتثال لأمر الله، ولا ننس أن لكل قاعدة شواذ.

أما المتزوجين فعليهم أن يحاولوا الاتفاق على خطوط مشتركة في تربية الأبناء حيث أن مسؤولية التربية تقع على عاتقهما وليست لأحد دون الآخر، ونلفت النظر إلى أنه من غير المتوقع أن يكون هناك اتفاق دائمًا بين الزوجين حول كيفية التعامل مع الأبناء، ومن الطبيعي أن يختلف الزوجان، ولكن المهم أن يصلوا لأرضية مشتركة وخطوط عامة[1].

«وقد تبين علميًّا أن اتفاق الوالدين ووحدتهما في الفكر يؤثر إيجابيًّا في مستقبل الأبناء... ومن جهة أخرى فإن وحدة الفكر لدى الوالدين تؤثر في طريقة تربية الأبناء والتنسيق بينهما بهذا الشأن،

(١) من مقالة بعنوان «أكبادنا تمشي على الأرض». Islammemo.cc

فإذا أصر أحدهما على أمر فعلى الآخر ألا يناقضه، بل يجب أن تكون الأوامر مدروسة بينهما سلفًا، حتى يشعر الأطفال بأن الأبوين ينهجان سياسة تربوية واحدة»[1].

هكذا التوازن:

عندما سمع أبو الدحداح الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾.

[البقرة: ٢٤٥]

فسأل رسول الله: آلله يستقرضنا؟ فيرد المربي العظيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم يا أبا الدحداح**» فيقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أرني يدك يا رسول الله فإني أقرضت ربي حائطي. وحائطه ذلك يومئذ من أجمل بساتين المدينة، وأحب ماله إلى قلبه، فيذهب إلى حائطه وينادي على زوجه أن أخرجي يا أم الدحداح، فقد أقرضت ربي حائطي، فتعمد الزوجة الصالحة إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم من ثمر البستان وهي ترد على زوجها: «**ربح البيع أبا**

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[١١٥].

الدحداح، ربح البيع أبا الدحداح» فيبشرهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَاحٍ لأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الجَنَّة»**(١).

والشاهد هنا تعاون الزوجة مع زوجها في الطاعة وتربية الأبناء على البذل والعطاء، فما إن جاءها زوجها وقال لها: أخرجي فقد أقرضت ربي حائطي، فقالت وهي تكمل البناء التربوي: ربح البيع أبا الدحداح، وزيَّنت البناء وهي تنفض ما في أكمامها وتخرج ما في أفواه أطفالها من ثمر البستان.

دور الجينات:

حُسن اختيار الصفات من المعايير التي حددها رسول الله في أمر اختيار الزوج أو الزوجة فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فإن العرق دساس»**(٢)، أو ما يسمى الآن بالعوامل الوراثية أو «الجينات»، فالتعبير بلفظ دساس تشير إلى انتقال الصفات والأخلاق من الآباء إلى الأبناء، ويؤيد ذلك ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا

(١) «مسند الإمام أحمد» [١٢٤٨٢].

(٢) «صحيح الجامع» للألباني [٢٩٢٨].

أسود، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**» قال: نعم، قال: «**فَمَا أَلْوَانُهَا؟**» قال: حمر، قال: «**هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟**» قال: إن فيها لَوُرْقًا، قال: «**فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟**» قال: عسى أن يكون نزعه عرق، قال: «**وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ**»(١) وعليه فقد دعا الإسلام إلى الاختيار الجيد في الصفات والأخلاق تحسينًا للنسل.

«وقد أثبت علماء الأحياء أن بالخلية خيوطًا اسمها الصبغيات أو الكروموسومات، وأن هذه الخيوط يمكن تقسيمها إلى مناطق متعددة وافترضوا على ضوء الحقائق العلمية أن على كل منطقة منها ما يسمى بالجينات، وأثبت علماء الوراثة أن هذه الجينات هي حوامل الاستعدادات الوراثية، فالخلية الناتجة بعد التلقيح تحمل كروموسومات جينات بعضها من ناحية الأم وجينات بعضها من ناحية الأب، ثم تبدأ الخلية تتكاثر مكونة الجنين»(٢).

(١) «صحيح مسلم» [١٥٠٠].
(٢) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١١٩].

أيضًا حث الإسلام، اجتنابًا للأمراض والعيوب الوراثية، الابتعاد عن الزواج من ذي القرابة الشديدة، فقد قيل: «اغتربوا ولا تضووا» أي لا تضعفوا.

فعند الاختيار يجب أن يراعي هذا الجانب ودوره في تكوين صفات وأخلاق الأبناء؛ فإن له نصيبًا وافرًا في تشكيل السلوك والصفات.



٢- اختلال النية

حين التدبر في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»(١) فالله يعطي الوالدين على قدر نواياهما.. ولكي أقرِّب لك المعنى تذكر دعاء والدتك لك حين تدعو لك الله أن يعطيك على قدر نيتك، ومن الأسباب الهامة في فساد الأبناء اختلال النية في الإنجاب!!

فكيف تكون نيتك حين تعتزم الإنجاب؟!

أتنجب لكي يقولوا عليك أنجبت وتسلم من نظرات الناس؟!، أم تنجب لكي تجعل من ورائك من يخاف على ثروتك وأعمالك؟!، أم تنجب أطفالًا يحفظون كتاب الله لكي يقول الناس هذا ابن فلان وفلانة؟!، أم تنجب لأنك رأيت الناس تنجب فأنجبت مثلهم؟!

فإخلاص النوايا في الإنجاب من أسباب صلاح الذرية لأننا «نرى إكرامًا منقطع النظير لمن صلحت نيته»(٢).

(١) «صحيح البخاري» [١].

(٢) «النية في إنجاب الذرية» محمد حسين يعقوب.

امرأة عمران:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٧].

النية: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ﴾.

«نذرت أن يكون محررًا أي خالصًا مفرغًا للعبادة لخدمة بيت المقدس»[1].

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾.

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٧، ٣٦٨).

أي ليس الذكر كالأنثى في القوة والعبادة والجلد في خدمة المسجد الأقصى، كما أنها تريد أن تهب الله أحسن شيء.

﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

ما نسيت الدعاء للذرية بالصلاح والاستعاذة من الشيطان الرجيم.

النتيجة:

١ - ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾.

٢- ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾.

«يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرةً وأنه أنبتها نباتًا حسنًا أي جعل لها شكلًا مليحًا ومنظرًا بهيجًا ويسَّر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين»[١].

٣- ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾.

«وإنما قدَّر الله كون زكريا كفلها لسعادتها؛ لتقتبس منه علمًا جمًّا نافعًا وعملًا صالحًا، ولأنه كان زوج خالتها»[٢].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٧، ٣٦٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٧، ٣٦٨).

٤- ﴿ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

«من المعلوم أن من وُهب للمعبد لا يتزوج، فكيف تقول ذريتها؟! فأخرج الله لها ذرية بدون زواج»[(١)].

وفي الحديث الصحيح: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**»[(٢)].

سيدنا زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٨ – ٣٩].

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ

(١) «النية في إنجاب الذرية» محمد حسين يعقوب.

(٢) «صحيح البخاري» [٤٥٤٨].

بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٢ - ٧].

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم:١٢:١٥].

النية: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾.

أي رب هب لي من عندك ذرية طيبة[1].

﴿ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴾.

لم يكن هدف زكريا من دعائه عرض الدنيا ولكنه خاف من الموالي وهم بنو عمه ومن يلونه في النسب من بني إسرائيل أن يسيئوا

(١) «ابن كثير» (٣/ ١١٩).

خلافته في أمته، فسأل الله ولدًا يكون نبيًّا من بعده ويجعله مرضيًّا عنده.

النتيجة:

١- ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي مصدقًا بعيسى ابن مريم؛ إذ هو أول من صدق به وعلى سنته ومنهاجه.

٢- ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ أي سيدًا في الحلم والعلم والعبادة والخلق.

٣- ﴿ وَحَصُورًا ﴾ أي يحبس نفسه عن الشهوات عفةً وزهدًا، ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك.

٤- ﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ بشارة نبوته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٥- ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ أي الفهم والعلم والإقبال على الخير؛ فالحكمة تأتي متأخرة ولكن يحيى جاءته وهو صغير.

٦- ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ آتاه الله الحنان لا يتكلفه ولا يتعلمه، وهي صفة ضرورية للنبي لرعاية القلوب والناس.

٧- ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ موصولًا بالله، مراقبًا له ويخشاه.

٨- ﴿ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ كان ذا طاعة لوالديه، ويتجنب عقوقهما قولًا وفعلًا، أمرًا ونهيًا.

٩- ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ سلَّم الله عليه، بينما عيسى سلَّم على نفسه فقال: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم: ٣٣].

فالسؤال الآن: ماذا أنوي حين أقدم على الإنجاب؟

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: « **تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى**»[(١)].

فيجب أن تكون نيتك أولًا هي تكثير عدد المسلمين الصالحين في الأرض، وأن تنجب امتثالًا لأمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لكي يباهي بك وبأولادك الأمم يوم القيامة.

وأن تنوي إنجاب إنسان صالح يوحد الله ويساهم في نشر الإسلام، ويكون ذخرًا لدينه وذخرًا لك في الآخرة، وانظر إلى عمر ابن الخطاب حين قال: «والله إني لأكره نفسي على الجماع بغية أن يخرج الله من صلبي من يوحده».

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني [١٧٨٢].

وأن تنوي نجاة الأمة من الهلاك؛ للحديث: أنهلك وفينا الصالحون؟! «نعم إذا كثر الخبث» فبإنجابك للصالحين نجاة للأمة من الهلاك.

ولا ننسَ (ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل).

ولا ننسَ أيضًا أن نرفع أيدينا أن يرزقنا أولادًا صالحين، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ**»[1].



(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني [٦٠١].

٣- عدم الالتزام بهديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إن من الأسباب المؤدية لإنحراف الأبناء، عدم الالتزام بالأدعية المخصصة بأحكام النكاح وأحكام المولود، من قبل الوالدين، مما يجعل ذلك بابًا للشيطان في قلب الولد، ومن المفترض أن يلتزم الإنسان المسلم بهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما فعله النبي ليس للسمع والنقل وفقط، ولكن للإتباع والتطبيق ، فبهديه يسلم الإنسان من كل سوء في الدنيا والآخرة؛ «**تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(١)].

ومن الأسس والمزايا في ديننا أنه مبني على الشمولية، أي لا يدع أي شيء يحتاجه الإنسان في صلاح دينه ودنياه إلا ويضع فيه حكم الله، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

فعلمنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آداب وأحكام لحفظ الذرية من الشيطان:

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الإمام مالك في «موطئه» [١٨٧٤]، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» [١٨٦].

١- دعاء الجماع: فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»**(١) فبهذا الدعاء يحفظ الإنسان ذريته ويحفظ زوجته أيضًا من الشيطان وكيده.

٢- التأذين عند الولادة في أذن المولود: أي التأذين في الأذن اليمنى، فعن أبي رافع عن أبيه، قال رأيت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة»(٢) وسر هذا التأذين كما جاء في كتاب تحفة المودود لابن القيم:

١- أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري [٧٣٩٦]، ومسلم [١٤٣٤].

(٢) «سنن أبي داود» [٥١٠٥]، «سنن الترمذي» [١٥١٤].

٢- هروب الشيطان من كلمات الآذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به.

٣- وفي معنى آخر هو أن تكون دعوته إلى الله إلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها.



٤- الأمية التربوية

ليس كل من أنجب قد أصبح مربيًا، فالتربية فن له قواعده وله أصوله، ويجب على الوالدين تعلمه من قبل الزواج، فليس كل من اشترى سيارة سائق، وكذلك ليس كل من أنجب مربيًا.

إن ما نلاقيه اليوم من فساد للأبناء هو نتاج للأمية التربوية التي يعيشها الآباء والأمهات؛ فتجد من يقول: «قد ربيت ابني أحسن تربية» وعلى أرض الواقع تجد فارقًا شاسعًا بين الواقع والكلام؛ فمثله كالذي كذب كذبة وصدقها.

وللأسف كثير من الآباء والأمهات بضاعتهم في التربية مزجاة لا تسمن ولا تغني من جوع؛ فهي تعتمد على الخبرات الخاطئة والتعلم في الأبناء.

والأمية التربوية درجات:

١ـ سياسة الأسلوب الواحد: «إن الله جعل اختلاف نفوسنا وعقولنا قريبًا من اختلاف وجوهنا، وكما أن في اختلاف وجوهنا ثراءً

عظيمًا وفوائد لا تحصى، فإن في اختلاف عقولنا ورغباتنا فوائد كثيرة، ولهذا فإن ما يصلح في التعامل مع أحد الأبناء قد لا يصلح في التعامل مع أخيه، وإن ما يرغب فيه أحد الأبناء قد يمقته الآخر، ونحن نعرف كثيرًا من الآباء والأمهات الذين يستغربون لماذا ينجح أسلوب تربوي مع ولد ولا ينجح مع أخيه، مع أن الذي يستحق الاستغراب فعلًا هو نجاح أسلوب تربوي واحد مع عدد من الأبناء»[(١)].

٢- سأربيه كما رباني أبي: بعض الآباء والأمهات يستخدم هذا الأسلوب في تربية أبناءهم ألا وهو «سأربيه كما رباني أبي» بلا شك أن أساليب الآباء والأمهات كانت جيدة وبها بعض الإستفادات العظيمة ولكن...

ما الذي يضمن لك نجاح أسلوب أبيك مع ولدك حتى وإن نجح معك؟!

وهل تعتقد أن التطور الذي نعيش فيه سيصلح معه أساليب الآباء والجدود؟

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[١٣].

٣- الصفر التربوي: «وهذا النوع غافلًا تمامًا عن شيء يسمى التربية فيمارس نوعًا من اللامبالاة ولا يخطر على باله هذا الأمر تمامًا، وكل نظره يتجه إلى نمو الطفل... إنه الآن يحبو... الآن بدأ يتكلم.. فهو يراها مضغة لحم تنمو وتكبر ويتلهى بها.

فكما ذكرنا سابقًا أن ليس كل من اقتنى سيارة يصبح سائقا، فكذلك ليس كل من أنجب أصبح مربيا، فالأصل أن يتشبع الوالدين بخلفية ولو بسيطة عن عملية التربية بجوانبها الإيمانية والخلقية والنفسية والجنسية، بالإضافة معرفة الخصائص العمرية لكل سن، فـ«التربية عمومًا لم تعد عملية عشوائية، متروكة للرغبات والعادات، بل أصبحت علمًا له أصوله وفصوله، وقواعده وأسسه التي يقوم عليها، ويستند إليها، ومن ثَمَّ كان من الأهمية بمكان أن يكون المربي على علم واطلاع على تلك القواعد والأصول التي تقوم عليها عملية التربية»[1].

(١) «المدخل إلى تربية الأبناء» رضا المصري ص[١٧٥].

«فالجهد التربوي جهد لا يطيقه أي إنسان، بل هو جهد في غاية الصعوبة والمشقة، إنه تعامل مع عالم الإنسان، هذا العالم الغريب الذي يحوي عديدًا من المتغيرات»[1].

وينشئ ناشئ الفتيان منا　　على ما كان عوده أبوه

فهناك فرق شديد بين أمية القراءة والكتابة وبين أمية التربية؛ إذ أمية القراءة والكتابة من حيث آثارها أخف كثيرًا جدًا من أمية التربية، أما التربية فقد تخرج أجيالًا مشوهة نفسيًا تعاني وتتعذب وتنحرف في كل مظاهر الحياة»[2].

فمغبة الأمية التربوية شديدة... يشتكي من تبعاتها الكثير من الآباء والأمهات، ولم العجب؟!، فلو أن أحدنا اشترى جهازا إلكترونيا لا يقدم على استعماله حتى يقرأ «دليل الاستعمال» فما بالك بالكائن البشري الذي هو مسؤول منك، فاحذر من أن يكون حصادك حنظلًا مرًا وتكون أنت السبب كما قال الإمام الغزالي في

(١) «مقالات في التربية» الشيخ محمد الدويش.

(٢) «محاضرة محو الأمية التربوية» الشيخ محمد إسماعيل المقدم.

إحيائه: «والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوِّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي به».

«فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذابًا حسودًا سروقًا نمامًا لحوحًا ذا فضول وضحك وكياد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب».

فيجب على الوالدين المطالعة في كتب التربية، وأن يكون لهم مستشار تربوي يثقون فيه للمساعدة في حل مشاكل أبناءهم وتنشئتهم تنشئة صالحة سوية، فالأمر جد خطير، فقد قال نابليون: «إن المرأة التي تهز المهد بيمينها، تهز العالم بشمالها».

فرق بين الرعاية والتربية:

هناك فرق بين الرعاية والتربية.. فالرعاية هي توفير المأكل والملبس والمشرب. أما التربية فهي تعديل السلوك.. فالذي يوفر المأكل والملبس والمشرب لا فرق بينه وبين راعي الغنم..

أدرك ذلك الأمر جان جاك روسو في كتابه الطفولة من المهد إلى الرشد فقال: «حين ينجب الأب أبناءه وينفق عليهم ليغذيهم، فما يقوم إلا بثلث واجبه نحوهم. وأيما رجل عجز عن النهوض بأعباء الأبوة حق النهوض، لا حق له أن يغدو أبًا، فما من خصاصة، أو عمل، أو جاه يمكن أن تعفيه من واجب إعالة بنيه وتنشئتهم بنفسه».



٥- إهمال التربية الإيمانية المبكرة

من الأسباب التي أسهمت في فساد أبناء الملتزمين تجاهل التربية الإيمانيةالمبكرة، أي عدم غرس العقيدة النقية الصحيحة في قلب الطفل، وعدم إرساء معاني المراقبة والخوف من الله في السن المبكر، لتكون له مناعة ضد الانحرافات.

«إن التربية هي المدخل الأساسي والضروري لأي حركة إسلامية تعمل على تغيير الواقع بتغيير ما بالأنفس، والذي أركز عليه هنا، في مجال العمل التربوي هو تكوين الطليعة المسلمة المرجوة لنصرة الإسلام، والتي تمثل في عصرنا دور الصحابة في عصر النبوة»[(١)].

فالتربية الإيمانية القائمة على العقيدة هي حماية للأمة فأبناء الإسلام اليوم يحاك لهم من الأعداء من المؤامرات ما لا يحصى ولا يعد لإفساد هم، «وهذه التربية الإيمانية.... هي التي يلح عليها كبار علماء التربية والأخلاق في بلاد الغرب لتحرر المجتمع من الإلحاد

(١) الشيخ يوسف القرضاوي من مقال «التربية الإيمانية هي الأساس».

والرذيلة والميوعة والجريمة، وإليكم طرفًا من أقوالهم (فإن هؤلاء الآباء الذين كانوا يسألون كيف ينمون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها، في حين ينقصهم هم أنفسهم تلك التأثيرات الدينية التي كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل، كانوا في الحقيقة يجابهون مشكلة لا حل لها، فلم يوجد بعد ذلك الدليل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الإيمان بالخالق وبناموسه الخلقي الإلهي في قلوب الناس...)[1].

ولقد أثبتت التجارب التربوية أن خير وسائل استقامة السلوك الإنساني هي التربية القائمة على عقيدةصحيحة فـ« نحن في أيامنا هذه أحوج ما نكون إلى ترسيخ هذه المعاني حيث إن ما يسمعه الطفل ويراد في كثير من وسائل الإعلام بات خاليًا من هذه الأمور الجوهرية، وحيث يجتاح العالم موجات اللهو والمرح واللعب والقصص والأعمال الدرامية التي شغلت أذهان الناشئة بكل شيء إلا قضية التوحيد وقضية الهدف الأكبر من الوجود!!»[2].

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[١٢٥] بتصرف.
(٢) «دليل التربية الأسرية» عبد الكريم بكار ص[٢٦].

وانظر إلى المجتمع الأمريكي حين غلبت في نفسه روح العقيدة وانسلخ منها «فقد منعت الحكومة الأمريكية الخمر، وطاردتها من البلاد واستعملت جميع الوسائل لبيان مضارها ومفاسدها ولكن لم يزد الأمة الأمريكية إلا غرامًا بالخمر وعنادًا في تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة عام ١٩٣٣م إلى سحب القانون وإباحة الخمر في مملكتها إباحة مطلقة»[(١)].

الغرس المبكر:

فلابد أن تكون التربية الإيمانية مبكرة، حتى نضع اللبنة في مكانها الصحيح ونصنع لهم مناعة إيمانية تبقى معهم أبد الدهر.

وقال ابن الجوزي في التربية المبكرة: «أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعبًا».

قد ينفع الأب الأولاد في الصغر ... وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت ... ولا تلين ولو لينته الخشب

«يتعلم الطفل في سنواته الأولى أكثر بكثير مما يتصوره الآباء، فإن العادات يمكن أن يكتسبها بسهولة كلما كانت سنه أصغر، فإن

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» ص[٨٤]، باختصار وتصرف.

٩٠٪ من العملية التربوية تتم في السنوات الخمس الأولى، كما أن الطفل في هذه الفترة لا يميل إلى إرضاء والده ويحاول أن يخرج منه بعبارات الثناء والإعجاب»[١].

«فتربية الأولاد تبدأ مبكرة جدًا عما نتخيل؛ لأن أغلب الناس تنظر إلى الطفل من ناحية نموه الجسدي... وبعض الناس لا يلتفت إلى مسألة التربية إلا بعدما يكبر الولد ويتعدى الثانية عشرة من عمره، وهذه خسارة ما بعدها خسارة؛ لأن نفسية الطفل وشخصيته تتشكل وتوضع البذرة الأولى لها في الخمس سنوات الأولى... وهذه المرحلة حقها أن تحظى بأكبر قدر من العناية، لكنها تحظى بأكبر قدر من اللامبالاة»[٢].

أهمية التربية المبكرة علميًّا[٣]:

١- ما أكدت عليه الغالبية العظمى من الدراسات والبحوث في مجال علم نفس النمو من أن قسمًا كبيرًا من النمو العقلي واللغوي للطفل ونمو ذكائه وتفكيره يتم خلال الأعوام القليلة الأولى من عمره.

(١) «مسؤولية الأب المسلم» عدنان باحارث ص[٨١].

(٢) «محو الأمية التربوية» د.محمد إسماعيل.

(٣) Julfkids.com د.ليلى كمال الدين.

٢- إن حصول الطفل على رعاية وتربية وتنمية ذات مستوى عال خلال الأعوام القليلة الأولى من عمره ليصل ويحقق أقصى ما لديه من قدرات.

٣- يبني الأساس الأول للضمير الإنساني خلال السنوات القليلة الأولى من عمر الطفل مما يجعل الطفل يعرف ويميز الصواب من الخطأ.

برنامج عملي للتربية الإيمانية المبكرة[(١)]:

١- تعويد الطفل منذ بلوغه عامين على كلمة التوحيد، وكثرة ترديدها في كل مناسبة حتى تترسخ هذه الكلمة في لسانه وقلبه.

٢- التربية العقدية عن طريق تعريفه بالله ونعمه عليه والشكر عليها كي يرتبط قلب الصبي بربه فيعظمه، وإرشاد الطفل للإيمان بالله وقدرته المعجزة وإبداعه، واستغلال الفرص لإجراء حوار مناسب يلائم عقل الصغير لإيصال هذه المعاني إليه، أيضًا عدم

---

(١) «بناء مستقبل الأمة» شريف عبد العزيز الزهيري، باختصار وتصرف، «تربية الأولاد في الإسلام» ص[١١٦].

إهمال أي سؤال من الطفل في جانب العقيدة، والعمل على تبسيط الإجابات دون تعمق فيها، كي لا يشتت ذهنه، وكي يصل للإجابة المطلوبة، مثال ذلك ما كان من سؤال طفل لمربيه لماذا لا أكون إلهًا؟

وربما يصعق المربي من هذا السؤال، ولكن الأخ الفاضل المربي قال له: إن الله عَزَّوَجَلَّ له سمع وبصر محيط بكل شيء، فهل تستطيع أنت أن تفعل ذلك؟ فقال الولد: الآن فهمت.

أيضًا نعرفه بوجود الملائكة وأننا لا نراهم وأن لهم وظائف وربما يظن البعض أن ذلك الأمر يصعب فهمه على الطفل، وقد أورد الغزالي نصًا ينفي ذلك «واعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظًا، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئًا فشيئًا، فابتداؤه الحفظ، ثم الفهم».

وأضف أيضًا إلى التربية العقدية توضيح الإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر مع تبسيط المفاهيم والمصطلحات.

أخي الفاضل، لا شك أن التربية العقدية من الأهمية بمكان فمما يروى أن الجعد بن درهم كان رجلًا منحرف العقيدة، ضالًا،

وكان أستاذ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فكانت التربية من إنسان فاسد العقيدة سببًا من أسباب سقوط هذه الدولة.

٣- تعريفه أول ما يعقل من أحكام الحلال والحرام لكي يرتبط منذ صغره بأحكام الشريعة مع بيان جزاء الحلال وجزاء الحرام لكي يكون عن اقتناع مع تبسيط المفاهيم له قدر الإمكان

٤- العمل على غرس روح التقوى لمراقبة الله عَزَّوَجَلَّ في كل تصرفاته وذلك عن طريق قراءة بعض آيات القرآن التي تتحدث عن معية الله وجزاء المتقين وأثر الخشوع متأسيًا في ذلك بالرسول عندما علَّم ابن عباس وهو غلام يركب خلفه، ويمكن استخدام الترغيب والترهيب لمن يفعل شيئًا يحبه الله أو شيئًا يبغضه،... مع مراعاة عدم الإفراط في هذا الأسلوب كي لا تختل شخصية الطفل.

وإليكم هذه القصة التي ذكرها الإمام الغزالي في إحيائه تبين أهمية التربية الإيمانية وزرع التقوى والخشية من الله في نفس الطفل (قال سهل بن عبد الله التستري: كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي «محمد بن سوار» فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند

تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه، وناظرًا إليه وشاهده... أيعصيه؟! إياك والمعصية...) وأصبح سهل من أكبر العارفين بالله.

٥- أمره بالعبادات وهذا تنفيذًا لوصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ...**»[(١)] والطفل حتى سن البلوغ غير مطالب بأداء العبادات وجوبًا، بل يؤديها على سبيل الاعتياد والتدريب فيسهل عليه أداء العبادات عند بلوغه؛ لأنها قد أصبحت بحكم العادة جزءًا من نظام حياته كالأكل والنوم، لا يستطيع التخلي عنه وهو ما يقول عنه العلماء «التربية بالعادة».

(١) «سنن أبي داود» [٤٩٥].

٦- زرع حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قلوبهم، وذلك يتم عن طريق:

(أ) بيان أن الرسول هو القدوة الأعلى لكل البشرية وسرد سيرته بصورة مشوقة ومبسطة.

(ب) بيان أن طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي عنوان لطاعة الله.

(جـ) تعليمهم غزوات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسير الصحابة الكرام.

٧- يجب أن تربيه على حفظ وتلاوة القرآن الكريم؛ فإن للقرآن تأثيرًا على النفس البشرية، وكلما صفت زاد التأثير، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرته ما زالت نقية، لكنه لا يدرك معاني الآيات ولا يتأثر بها إلا من خلال ناقل، وهذا الناقل يمكن أن يكون الأب أو الأم، فالطفل الذي يرى والده يبكي عند قراءة القرآن ويتأثر بالآيات تنطبع هذه الصورة في مخيلته طوال حياته ويتأثر مع والده، ويبكي لبكائه، وعندما يكبر ويعقل يدرك سر بكاء أبيه.

من الممكن أن يدور ببال أحدنا أن كل هذا الكلام معروف، ولكن يحق لي أن أسأل هل طبقنا المعروف؟! وإذا طبق فهل طبقناه بطريقة صحيحة؟!



٦- إهمال التربية النفسية

أهمية التربية النفسية:

«يعتبر البناء النفسي والعاطفي للطفل من أكثر الأمور أهمية وحساسية في حياة الطفل، ذلك لأن العاطفة تحتل مساحة كبيرة في نفس الطفل، فإن أخذها شكل متوازن كان إنسانًا بكل المعاني السوية، وإن أخذها بغير ذلك بالزيادة أو النقص تشكلت لديه عقد لا تحمد عقباها»[(١)].

«الهدف من هذه التربية تكوين شخصية الولد وتكاملها واتزانها... حتى يستطيع إذا بلغ سن التكليف أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه وأنبل معنى»[(٢)].

وسنستعرض المشكلة على أربع محاور هم الأهم:

١- التشجيع. ٢- الخلافات الزوجية.

٣- الإشباع العاطفي. ٤- الإقناع.

(١) «بناء مستقبل الأمة» شريف عبد العزيز الزهيري ص[٦٢].

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصر علوان ص[٢٢٥].

١- التشجيع:

انعدام التشجيع خطأ جسيم في تربية الأبناء، فالتشجيع مثله كمثل الوقود للسيارة، لا تسير إلا به، كذلك الأبناء التشجيع بالنسبة لهم كالوقود، يعطيهم حافز على إخراج أفضل ما يحوون من طاقات، ويعطيها إستمرارية.

وهذه أمثلة واقعية من واقع الحياة على انعدام التشجيع:

١- انعدام التشجيع في حين الإتيان بالطاعات عند فعل الصلوات الخمس أو عندما يطيع أمه أو أباه في أوامرهم، تجد ردًا جافًا مليئا بالإحباط مثل «هذا واجب عليك»، «ما أتيت بجديد» في حين يتلهف الطفل لعبارة ثناء تروي ظمأ نفسيته.

٢- التوبيخ الزائد الذي يحدث عند التقصير في الفضائل مثل التقصير في الحضور في المسجد أو، وتوجيه التهم له مثل: «ستظل دائمًا على حالك هذا»، «أنت سبب نزع البركة من البيت»، فالتربية بلا شك تحتاج الى بعض العقاب والتوبيخ لضبط الاعوجاج، ولكن ما نقصده في هذا العنصر هو زيادة التوبيخ أو تكراره لدرجة إصابة الإبن بالوصمة، فلا يصلح معه توبيخ أو عقاب.

فتعال نطالع حال مؤدب البشرية وحال من جاء بعده في أمر التشجيع، لنعرف ما نحن عليه من خطأ ونحاول تقويمه.

الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مؤدب البشرية»:

عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان الرجل في حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكنت غلامًا شابًّا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار. قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**» فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا[1].

فالشاهد هنا هو تشجيع رسول الله لعبد الله بن عمر، فبهذا المدح نقله من النوم إلى اليقظة وأثمر عن استقامته.

(١) «صحيح البخاري» [١١٢١]، «صحيح مسلم» [٢٤٧٩].

عمر الفاروق:

فعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟**» فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: «هِيَ النَّخْلَةُ» قال: فذكرت ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلت: هي النخلة، أحب إليَّ من كذا وكذا[(١)].

فتأمل موقف سيدنا عمر في تشجيع ابنه بزرع الثقة في نفسه، ما قال له: كيف تجرؤ أن تنطق بها؟! بالطبع لا زلت صغيرًا فلا يمكنك أن تقول؟! ففي هذا إثبات أن التشجيع يزيد الثقة بالنفس عند الأبناء.

فالثناء والتحفيز له أثر عظيم في استنهاض الهمم وزيادة الإنجاز؛ فلقد ذكر الدكتور محمد إسماعيل في محاضرة باسم التشجيع ودوره في التربية أن «شخصًا يدعى الدكتور هنري بوذرد كان يعمل مدرسًا في إحدى المدارس في (نيوچيرسي)، فاخترع جهازًا لقياس الإعياء والتعب، وكان الأطفال هم موضع الاختبار، وعندما

(١) «صحيح مسلم» [٢٨١١].

كانوا يتلقون كلمات الثناء والإعجاب والتشجيع كان يظهر الجهاز ارتفاعًا مفاجئًا يعبر بوجود طاقة إضافية وكانت طاقتهم تزداد بمجرد أن يسمعوا هذه الكلمات، وعندما كانوا يتعرضون للنقد واللوم والتوبيخ كانت تندفع طاقاتهم الجسمانية إلى الهبوط بصورة مفاجئة».

فأعرف من أبناء الملتزمين من كان معرضًا عن طريق الالتزام وهداه الله، وذلك لأن والدايه كانا يشجعانه ويثنيان عليه «يا خسارة إمكانياتك»، «أنت حقًا مبدع فاستغل قدراتك في الدين».

قالوا عن التشجيع:

ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه.. فإن عاد ثانيًا فينبغي أن يعاتب سرًا ويعظم الأمر فيه ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا»[1].

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ٩٧).

«فحين نشجع طفلًا على الإقدام على عمل يحبه، فإنه ينظر إلى تشجيعنا على أنه تعاطف معه؛ لأننا ساعدناه على تحقيق أمنية من أمانيه، ثم إن التشجيع على عمل من الأعمال يتضمن الاعتراف على نحو خفي بكفاءة الابن واقتداره على النجاح في العمل الذي شجعناه عليه وفي هذا مؤازرة كبيرة له، والحقيقة: أن للتشجيع دورًا فاعلًا ومؤثرًا في تمتع الأمم بعدد وافر من الرجال العظماء، ولهذا فإن التشجيع يشكل مقياسًا من مقاييس التحضر، فالمجتمعات كلما تحضرت أكثر، قدرت المواهب أكثر»[1].

فإذا رأيت من ولدك مواظبة على الصلاة وارتباط بالله أكثر فعليك بالتشجيع، فهذا دافع للمواظبة والارتقاء به، فالتشجيع مثل الملاط «الأسمنت»؛ فكلما وضع ابنك حجرة ثبتها بالملاط، ليقوى البناء ويعلى.

ولكن قبل طي هذه الصفحة يجب وضع الضوابط ولفت النظر إلى بعض الإشارات في عملية التشجيع.

---

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[٨٩].

١- أن يكون صادقًا بدون مبالغة أو كذب؛ فإن الطفل يكتشف ذلك.

٢- عليك بمدح السلوك لا بمدح الشخص نفسه، كذلك في توجيه النقد مثلًا: «إذا أنجز الطفل في حفظه في القرآن».

فقل: أداؤك في الحفظ قد تحسن.. ما شاء الله.

ولا تقل: أنت أحسن شخص في الدنيا، لا يوجد أحسن منك في هذا الكون؛ فهذا يزرع الغرور في نفس الشخص.

مثلًا: «إذا تكاسل الابن في حفظه للقرآن».

فقل: أداؤك في الحفظ غير جيد في هذه الفترة، يجب عليك أن ترجع لمستواك.

ولا تقل: أنت دائمًا كسول عن حفظك؛ هذا يزرع الإحباط في نفسية الشخص.

٣- الحاجة إلى معرفة وحاجة كل مرحلة فالتشجيع في الطفولة يختلف عن المراهقة شكلًا ومضمونًا.

وبعد، لا يبقى لنا سوى تحذير نبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»[(١)].

٢- الإشباع العاطفي:

إنها العاطفة... تلك الأداة المهملة من أكثر الآباء والأمهات، بالرغم أنها من أقوى وأفضل الأساليب التربوية للتأثير على الأبناء وإن شئت قل على جميع الناس.

نعم أخي، إنها التربية بالحب التي تجعل بين الآباء والأبناء الجسور المتواصلة، وبإهمالها تبعد المسافات وتشق الأخاديد، لذا نجد اهتمامًا كبيرًا من المتخصصين في التربية والعلماء والدعاة بإنشاء قاعدة نفسية عند الأبناء يبنيها الآباء من الحب.

قالوا عن العاطفة:

«يولد الطفل بخطين باهتين متقابلين، أحدهما يتجه إلى الحب، والآخر إلى الكره، كلاهما فطري، وكلاهما ضروري في حياة الإنسان... لأن كل إنسان ينبغي أن يحب ويكره»،... وحين يترك

(١) «صحيح مسلم» [٢٥٦٤].

الإنسان بغير توجيه فهو عرضة لنوع معين من الاختلال في هذين الخطين.

والذي ينشئ التوازن، ويعيده إذا اختل هو هذا الحب الذي يضفيه الوالدان والأم خاصة على ذلك الطفل الوليد، بالقدر المضبوط الذي يحتاج إليه بلا زيادة أو نقصان... فهناك نتائج لفقدان هذا الحب كلها سيئة على الإطلاق، وأبرزها أن ينمو خط الكره دون أن ينمو خط الحب أو بأكثر منه»[(١)].

«العاطفة تطلق على تلك المشاعر المتدفقة السيالة التي تدفع الإنسان لاتخاذ مواقف من القبول والرفض، أو الحب أو الكره، تطلق على الحاسة التي تتوقد في نفس صاحبها لقبول هذا العمل أو رفضه»[(٢)].

«إن الذي يبذر الحب في قلوب أبنائه يحوِّلهم إلى جنود يحرسونه، وعمال يخدمونه، نعم للحب كل هذا السحر التربوي؛ لأن الذي يحب أحدًا يحرص الحرص كله على أن يسعده، ويكون على استعداد لأن

(١) «منهج التربية الإسلامية» أ. محمد قطب.
(٢) «العاطفة بين الإهمال والإغراق» د. محمد الدويش.

يبذل له كل ما يستطيع.. إن الدنيا كلها تختزل في شخص المحبوب فيصبح إرضاؤه إرضاء للدنيا كلها، وإغضابه ومخاصمته وكأنه إغضاب ومخاصمة الدنيا كلها...!!

وهذا كله يسهل عملية التربية.

لن تكون نصائح الأب والمربي مجرد «كلام» جاف وثقيل، ينتهي أثره بالانتهاء من ترديده، وإنما يصبح وكأنه «رغبات» للأبناء أنفسهم تجيء على ألسنة أولياء الأمور... ولأن كل من الأب والمربي يتحول في هذا المناخ إلى «محبوب» سيحرص الابن دائمًا على أن يفعل ما يسعد محبوبه ويبتعد عن كل ما يمكن أن يغضبه»[1].

فالعاطفة تحتل مساحة كبيرة في قلوب الأبناء، فلو لعبنا على هذه الوتيرة لقضي الأمر في أمور كثيرة، فحينما تملأ القلب برصيد الحب وحينها تتحكم في كل شيء لأن القلب هو الملك والأعضاء هم الجنود.

وانظر إلى مؤدب ومعلم البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما أقر هذه الحقيقة ألا وهي «املك القلب أولًا».

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري.

فعن معاذ بن جبل أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده، وقال: **«يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّك»**، **فقال**: **«أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**[1].

فتأمل إلى تصرف رسول الله.

١- البدء بمسك يده.

٢- قول يا معاذ إني لأحبك، كانت بمثابة الرصيد الذي يملأ به القلب ليوجد بعدها.

٣- اختصار التوجيه وعدم الإطالة.

إذًا فالطريق للتوجيه لابد أن يكون بالرفق والحب «فما لم يشعر المتربي أن مربيه يحبه، ويحب له الخير، فلن يقبل منه ولو أيقن أن عنده الخير كله، بل لو أيقن أنه لن يجد الخير إلا عنده!! وأي خير يمكن أن يتم بغير حب»[2].

---

(١) «صحيح أبي داود» للألباني [١٣٦٢].

(٢) «منهج التربية الإسلامية» محمد قطب ص[٢٨١].

حتى يكتمل البناء:

فهذه عدة توجيهات للوالدين للمساعدة في ضبط وتوازن الإشباع العاطفي وأيضًا تصحيح لبعض المفاهيم:

١- لابد أن نفهم أن الوالدين مفطوران على حب الأبناء ولكن الأبناء لم يفطروا على حب الوالدين؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت:٨] فوصى الأبناء بالوالدين ولم يوص الآباء بالأبناء لأنهم مفطورين على حبهم، فأنت الذي تزرع فيهم الحب والكره.

٢- كما فهمنا أن الإشباع العاطفي هو مسؤولية الوالدين، فهم المسؤولون أيضًا عن انصراف العاطفة عند أبناءهم وبحثهم عن إشباعها في مواطن أخرى «فكثير من الآباء ينسون إيداع أرصدة عند أبناءهم في فترة المراهقة ويهتمون أكثر بتوجيههم وبإعطاء الأوامر لهم... وبالتالي تنخفض أرصدة البنك بين المراهق وأبيه بصورة كبيرة جدًّا، ولا عجب أن يسعى المراهق بعد ذلك إلى أن يكوِّن أرصدة أخرى مع أصدقاء السوء، مع من يحترمونه ويقدرونه من وجهة نظره»[١].

---

(١) «سحر الاتصال» محمد العطار ص[١٩٠].

٣- بعض الآباء يهمل جانب الحب والعاطفة حينما يكبر الأبناء وهذا من أكبر الأخطاء لأن ذلك من أسباب انحراف العاطفة فمن اللازم أن نعطيه في الكبر كما كنا نعطيه في الصغر بقدر ما يحتاج.

٤- البعض من الآباء يكتفون بحب أبنائهم من غير إظهار هذا الحب لهم أو إظهاره بصورة خاطئة بالمال أو بالمشتريات مثلًا، فهذه بعض النصائح لإظهار حبك لأولادك؛ لكي يكون هذا الحب في زيادة مستمرة:

(أ) قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**»(١)، لقد قال رسول الله: «**أخاه**» فما بالك بالابن الذي هو من صلبك، فلابد أن تصارح ابنك أنك تحبه ولا تجعله يستنتج ذلك ولو أن تكتبها له في رسالة، فكما كان يفعل رسول الله فافعل، فكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضم الحسن والحسين ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا**»(٢) فمنذ متى ما قلت لأولادك وصرحت لهم بالحب؟!

(١) «سنن أبي داود» [٥١٢٤].

(٢) «صحيح الجامع» للألباني [٧٠٠٣].

(ب) هل جربت مرة أن تأتي بهدية لابنك؟ نعم؛ إنها الهدية التي تحمل قيم ومعاني الحب كما وصانا رسولنا الكريم: «**تَهَادُوا تَحَابُّوا**»[(١)].

(جـ) وماله الأثر في زيادة حب أبنائك لك وإظهار هذا الحب لهم ألا وهو تقبيلهم واحتضانهم، وفي الحديث الذي اعترض فيه أحد الأعراب على تقبيل الرسول لأبنائه فقال له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**»[(٢)] وحين ذكر له الأقرع بن حابس أن له عشرة من الولد ما قبَّل منهم أحدًا، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ**»[(٣)]، فالبعض يبخلون بكل شيء حتى بمشاعرهم على أولادهم، ظنًا منهم أن ذلك صواب لتعليمهم الجدية والصلابة، والحق أنهم يقتلون فيهم كل معاني الحب والرحمة»[(٤)].

(١) «صحيح الأدب المفرد» للألباني (٤٦٣/ ٥٩٤).

(٢) «صحيح البخاري» [٥٩٩٨].

(٣) «صحيح البخاري» [٥٩٩٧]، «صحيح مسلم» [٢٣١٨].

(٤) «بناء مستقبل الأمة» شريف الزهيري ص[٦٣].

(د) العدالة بين الأولاد شيء أساسي في كل شيء حتى القبلة؛ فعن أنس قال: كان مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل فجاء ابن له فقبَّله وأجلسه على فخذه، ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَهَلاَّ عَدَلْتَ بَيْنَهُما**»[1]، فيجب أن تتحرى العدالة بين أبنائك في كل شيء؛ لكي لا تزرع في نفسه الكره لأخيه بل ولك أيضًا.

ليس لي بعد إلهي مشتكى إليك

وأخي في الفضل مثلي وكلانا في يديك

لا تفضله عليَّ بالحبا في ناظريك

إن منحت العين كحلًا هاجت الأخرى عليك

إنما ابناك كعينيك فكحِّل مقلتيك

(هـ) جرب مرة أن تصطحبه في سفر أو تخرج معه خصيصا بمفردك معه فهذا يفتح المجال للحوار بين الآباء والأبناء، فكم من ابن ظل حبيس مشكلته وأزمته فخلق فرص الحوار تزيد المحبة.

---

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني [٣٠٩٨].

(ز) مداعبة الأبناء وممازحتهم لما في ذلك من إدخال السرور على الأبناء؛ ففي الحديث أنه كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يداعب الحسن والحسين ويحملهما على ظهره وعلى بطنه.

(ط) اتقن لغة المشاعر «فكلماتنا التي نلقيها على أبناءنا لا تكتسب تأثيرها من ألفاظها التي تصاغ منها بقدر ما تكتسب ذلك التأثير من نسمات الحب التي تهب منها على قلوب الأبناء»[(١)].

«إن من الآباء من إذا سمعته يقول لابنه «من فضلك» أو «شكرًا لك» أحسست أنه يخاطب جمادًا، لخلو صوته من أي نبرة تدل على المودة..، فإن هذه الكلمات لو استعملت، وكان فيها نفحة من الحب لأفاضت على حياة أبناءنا البِشر والسعادة، ولدفتهم بالحب والرحمة إلى الانقياد لما نريد»[(٢)].

وفي نهاية هذا العنصر نود أن تكون أدركت قيمت هذا السلاح في التوجيه؛ لأن من الآباء من يبخل على أبنائه حتى بالبسمة، واحذر

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص[١٢٧].

(٢) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص(١٤١، ١٤٢) بتصرف.

أن تكون كالضيف الثقيل في البيت يتمنون خروجك لما يحدث لهم من تعكير لصفو حياتهم وتعاملك الجاف.

«إن القيادة الحقيقية للأبناء هي قيادة القلوب لا قيادة الأبدان...، قيادة الرضا لا قيادة الضغط...، قيادة الحب لا قيادة الإرهاب...، ولن نحصل على أفضل ما عند أبناءنا حتى نستميل قلوبهم فيحبونا، فإن أحبونا أطاعونا... تسألني لماذا؟ لأن العقل لا يسمع... حتى يسمع القلب...»[1].

٥- لابد من التوازن فلا إفراط ولا تفريط فهنا نطالب أن نعطي الجرعة المناسبة لا نقص فيها ولا زيادة، والتحذير هنا من الزيادة التي تؤدي للتدليل؛ فالزيادة مفسدة كما يكون النقص مفسدة و«الزيادة تؤدي إلى التدليل، والتدليل يؤدي رخاوة الكيان النفسي للطفل فتى كان أو فتاة والرخاوة عيب في البناء تجعله غير متماسك، وغير صالح للاعتماد عليه في مهمات الأمور، وظروف الحياة لا تتركنا لأنفسنا ولا ترحم رخاوتنا:

(١) «اللمسة الإنسانية» ص[١٢٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق:٦].

﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤].

والمدللون ذو الطبائع الرخوة لا يقدرون على الكدح، فيتعبون في حياتهم ويتعبون»[(١)].

٣- الخلافات الزوجية

إلى أبي وأمي:

هذه رسالة من ابنكم الجريح الذي تسببتم في جرحه، لم أعاني من جرح في جسدي ولكن أعاني من جرح آخر في أعماق نفسي.

- إلى متى يا أبت ستظل هذه المشاجرات بينك وبين أمي التي لا تكاد أن تنطفئ فتشتعل أخرى؟!

- متى سأشعر بالأمان في بيتنا الذي هو على شفا حفرة من التفكك؟!، إلى متى سأظل غارقًا في بحار الهموم وأنا مع أصحابي، وأحاول أن أدفع البسمات دفعًا؟!

(١) «منهج التربية الإسلامية» ص[٣٦٧].

- كم فكرت في الهروب كثيرًا من مرارة الأجواء في البيت؟! وكم أكون سعيدًا عندما أبيت عند جدتي بعيدًا عن البيت؟!

- كم أثر في مشهد أخوتي كثيرًا وهم بين باكٍ ومهموم؟! لقد صدمتني أختي الصغيرة بسؤالها من براءتها: «هل أبي سوف يقتل أمي حقًا؟!» عندما سمعتك تقول لأمي: «سوف أقتلك».

- كم تبادر إلى نفسي الشعور بالذنب حين أراك تهدد أمي بالطلاق وتقول لها: «لولانا لكنت طلقتها!!» كم شعرت أن زملائي الأيتام في نعمة فهم لا يعيشون في مثل ما أعيش فيه!!

من ابنكم الجريح

تعتبر الحاجة إلى الأمن من أهم الحاجات النفسية التي يسعى الابن في إشباعها سواء كان في مرحلة الطفولة أو في المراهقة، والخلافات الزوجية أمام الأبناء من الأسباب الرئيسة لضياع عنصر الأمان عند الأبناء وزيادة القلق والاضطراب النفسي.

ولبيان علاقة هذا العنصر بموضوعنا يجب أن نعرف أن الخلافات الزوجية سببًا في انحراف الأبناء وفسادهم لأنها من

العوامل الأساسية التي تؤدي إلى انصراف الولد، احتدام النزاع، واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم في معظم ساعات الاجتماع واللقاء... فالولد حين يرى ظاهرة الخصومة أمام ناظريه صباح مساء، سيكون الهروب من جو البيت القاتم، والبحث عن رفاق يقضي معهم كل وقته ويصرف في مخالطتهم معظم فراغه النتيجة المتوقعة، فهؤلاء إن كانوا قرناء سوء، ورفقاء شر، فإنه سيدرج معهم على الانحراف ويتدنى بهم إلى أرذل الأخلاق وأقبح العادات بل إن انحرافه سيتأكد»[1].

فتخيل طفلًا يرى أباه وأمه كل منهما يفيض أمام الآخر بآلامه وأحزانه منه، بل وأضف توجيه الاتهامات والسباب والدعاء عليه بالهلاك، مع ما يكون من انهيار الأم في البكاء... فماذا تنتظر من طفل يسمع كل هذا العذاب الذي هو أصعب عليه من أقوى فيلم رعب تم إنتاجه؟!

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٨٨]، باختصار وتصرف.

«يعتبر الغرب تشاجر الأبوين أمام الطفل نوعًا من الإساءة تستدعي القبض عليهما، وإيداعهما في المصحة النفسية للتأديب والتهذيب والإصلاح الحقيقي، وإذا تكرر هذا السلوك أخذ منهما الطفل ليربى في مؤسسة تابعة للدولة.. انظر كيف انتبهوا إلى هذا الموضوع، حتى وصل بهم الأمر إلى اعتبار أن رفع صوت الأبوين أمام الطفل يعتبر انتهاكًا لحق الطفل في الاستقرار النفسي»[1].

أثر الخلافات الزوجية على الأبناء[2]:

١- تكوين عقدة ضد الأزواج والزوجات، وخاصة عند البنات.

٢- تأثر المستوى الدراسي للأبناء، وذلك بسبب تشتت الفكر.

٣- بقاء الأبناء الكبار خارج المنزل لأطول وقت ممكن... وماذا تنتظر من الخارج أن يؤدي بولدك؟!

٤- تكوين استعداد نفسي لانحراف الأبناء في المستقبل.

٥- تحكيم الأبناء في الخلافات مما يرهقهم ذهنيًا.

---

(١) محاضرة للدكتور محمد إسماعيل: «محو الأمية التربوية».

(٢) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش، ص[١١٦] بتصرف.

٦- شعور الأبناء بالذنب؛ كأن تقول الأم: «لولا وجودكم لما احتملت العيش مع أبيكم».

٧- اهتزاز صورة الوالدين في عيون الأبناء وضعف الثقة بهما.

٨- خوف الأبناء على مصير حياتهم.

٩- التدليل الزائد للأبناء من أحد الأبوين بغرض إغاظة الآخر وتكوين جبهات متضادة بين الأم والأب تقوم على جذب كل منهما الأبناء في صفه.

١٠- اختلال ميزان التربية، إذا انفصل الزوجان أو طرد أحدهما من المنزل.

ولكن: هل يوجد أزواج بلا خلاف؟!

أتفق معك أيها السائل أنه لا يوجد أزواج بلا خلاف، ولكن هناك فنونا لإدارة المشكلات والخلافات الزوجية؛ فمن الممكن أن نختلف كأزواج ولكن لا يتحطم الأبناء، وأن يكون اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية، فما هو التصرف السليم حين الاختلاف[1]؟

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش، ص[١١٨] بتصرف.

١- عدم التعرض لنقاط الخلاف أمام الأبناء.

٢- إن حدث وعلموا بالخلاف نخبرهم أن الخلاف بين أي شخصين أمر طبيعي.

٣- عدم إطالة فترة الخلاف مهما كانت الأسباب.

٤- محاولة إخفاء آثار الخلاف وممارسة الوالدين للحياة كالمعتاد.

٥- محاولة صرف نظر الأبناء عن الخلاف بإشاعة جو المرح، أو الخروج للتنزه أو ممارسة أعمال جماعية.

٦- يجب عدم إظهار الخلاف عمليًا للأبناء؛ فلا يترك أحد الأبوين حجرة النوم لينام في حجرة أخرى، أو أن تبكي الأم أو تجلس صامتة.

٧- لابد من تجنب الإهانات تمامًا باللفظ؛ فتلك الإهانات تصيب الحالة العاطفية للطرف المهان بشكل عام بنوع من الشروخ يصعب إصلاحها، ناهيك عما يصل للطفل من مشاعر تدمر اطمئنانه.

٨- تجنب إصدار الهمهمات والغمغمات الساخطة المشمئزة، التي تنم عن الكراهية بلا صوت، فإن ذلك يثير شكوك الأبناء وقلقهم وتوقعهم للكوارث.

٩- لابد من إفهام الطفل أن الحب هو الأصل في علاقة والديه مع بعضهما، ويتجلى ذلك بالتعبير اللفظي عن هذه الرسالة، والعملي من خلال تعاملات الوالدين الهادئة والناضجة.

١٠- ينبغي ألا يسمع الأبناء أصوات الصراخ والغضب من خلف الباب المغلق بل يفضل أن تكون المناقشة بلا مؤثرات صوتية خلف الأبواب المغلقة.

ولا شك أن المرونة مطلوبة لحياة أكثر إشراقًا وصاحب مبادرة الحل والعلاج ليس الطرف الخاسر بأي حال من الأحوال؛ بل هو صاحب الفضل؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**»[(١)].

«من البديهي أن البيئة المثالية لتربية الأبناء هي منزل يسوده الوئام في كنف أم وأب متفاهمين محبين لطفلهما.. ولكن المناخ الأسري يكون في بعض الأيام جيدًا، ثم يكون في أيام أخرى غير ذلك.. وهذا أمر طبيعي، والواجب على الوالدين محاولة زيادة

(١) «صحيح البخاري» [٦٠٧٧]، «صحيح مسلم» [٢٥٦٠].

الأيام المستقرة والسعيدة، والاستمتاع بوقت التواصل مع أولادك، كما أن الواجب على الوالدين حتى إذا اشتطا في الخصومة أن يمارس من ضبط النفس والحكمة ما هو فوق ما يحتمله البشر حفاظًا على مشاعر أبناءهما»[1].

٤- التربية بالإقناع:

أغلب حوار الآباء مع الأبناء مليئا بالأوامر والفروض، خاليًا من السببية والإقناع،، فليس من حق أبناءهم أن يعرفوا السبب أو يسألوا «لماذا؟!»، حتى صار لا فرق بينهم وبين الجنود.

وللأسف تجد من الملتزمين من ينتهج هذا النهج مع أبنائهم في أمور الشرع، فتجده لا يبين للولد حكم الشيء ولا دليله ولا النفع العائد من وراء التطبيق.

فأغلب الآباء والأمهات تصدر منهم أوامر جافة «قم صلِّ»، «لا تسمع الأغاني»، «لا تضيع وقتك»، فهل وضحت لابنك فضل الصلاة، أو أوضحت له حرمة الأغاني، أو أقنعته بأهمية الوقت لعدم تضييعه؟

---

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص[٥٨٨].

وللأسف تجد مغبة هذا الأسلوب واضحة على الأبناء، وأنه خلَّف الخبث في نفوس الأبناء، وخلَّف تفلتًا وتهربًا ما داموا بعيدين عن الرقابة، لأنه «لا يجوز فرض الأوامر فرضًا على الطفل دون اقتناع منه بأدائها؛ لأن ذلك يولد في نفسه كبتًا ويفسد شخصيته»(١).

أما الطفل الذي تربى بالإقناع فيكون عنده من المبادرة الذاتية لتجنب الحرام والخطأ، وستكون نفسه سوية فيغير نفسه ومن حوله، حتى وإن لم يكن هناك دافع من الوالدين «وجميل جدًّا أن يقتنع الطفل أو الشاب أو الإنسان الناضج بحكمة ما يفعل، فإن ذلك أيسر للتنفيذ القلبي وأرجى للثمرة من التنفيذ بغير اقتناع»(٢).

وقد أقر بها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطابه لقومه وهم على عدم اقتناع بدعوته فقال لهم: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

التربية بالاقتناع منهج رباني:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ

(١) «منهج التربية الإسلامية» أ. محمد قطب [٣٥٦].

(٢) «منهج التربية الإسلامية» أ. محمد قطب [٣٦٠].

ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١].

وقال أيضًا: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩].

بيَّن الله حرمة الخمر بالإقناع فقال:

١- رجس من عمل الشيطان.

٢- إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة.

٣- قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما.

التربية بالإقناع منهج الأنبياء والصالحين:

فقال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عندما نصح يوسف: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾.

[يوسف: ٥]

فانظر إلى قوله:

١- لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا.

٢- إن الشيطان للإنسان عدوًا مبينًا.

ما قال له لا تقصص رؤياك على إخوتك واكتفى بالأمر.

وقد قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه وهو يخبره بأمر الذبح: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ما جاء إبراهيم فذبحه وهو نائم ولو فعل ما عليه ذنب، ولعلك أدركت أن الإقناع يكوِّن المبادرة الذاتية فما إن قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ وزين أسلوبه وقال: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ فجاءت المبادرة الذاتية من سيدنا إسماعيل ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

وها هو لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ

﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾.

[لقمان:١٣-١٨]

ففي الآية الأولى وهو ينهاه عن الشرك بالله أقنعه بأن الشرك بالله ظلم عظيم.

والآية الثانية أمره بإقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، فبين له أن ذلك من عزم الأمور.

والآية الثالثة حين يأمره بالتواضع فأقنعه بأن الله لا يحب كل مختال فخور.

وقد قال مربي البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»**(1).

ما اكتفى رسول الله بالأمر بالزواج فحسب؛ بل بيَّن فوائده لكي يُرغِب الشباب فيه فقال: **«فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»** بل وزين البناء ببيان العلاج لمن لم يقدر عليه وأمره بالصوم.

فأين نحن من آداب القرآن وسنة الرسول ومن قبله الأنبياء؟! والله تعالى قد أمرنا بأن نأخذ العبرة منهم فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١].

فلابد أن يسود الإقناع في توجيه الأبناء ولابد أن يعرف «لماذا الخطأ خطأ، ولماذا الصحيح صحيح... اللهم أن يعرف لماذا يتجنب الخطأ ولماذا يفعل الصحيح»(2).

«فإن فرض الأوامر على الطفل دون اقتناع منه بأدائها يشعره بأن ذلك العمل عبء ثقيل عليه، فيحاول التهرب منه، وواجب

---

(١) «صحيح البخاري» [٥٠٦٦]، «صحيح مسلم» [١٤٠٠].

(٢) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[٣٨٦].

المربي هو محاولة احترام الطفل من خلال إقناعه بالأمر، كأن يبين للطفل فائدة قيامه بالعمل، ويحليه في عينيه وعليه ألا يوجه نواهيه إليه بطريقة استفزازية»[١].

فوائد التربية بالإقناع:

١- أن تبني العقلية السببية لدى الطفل حيث نعوده منذ الصغر أن يربط بين الظواهر وأسبابها والنتائج ومقدماتها، وذلك يقوي لديه الرؤية المنطقية والمنهجية، ويساعده على النجاح في الحياة[٢].

٢- الحفاظ على كرامة الطفل؛ إذ أن الشرح ينطوي على اعتراف بأهمية الطفل، ونحن لا نريد أن نربي (إمعة) يتصرف كالتابع الذليل، وإنما نريد أن نربي رجلًا مستقل الشخصية، متميزة الكيان، يعمل ما يقتنع به ونحن حين نشرح للطفل مواقفنا وأسباب رفضنا لأمر يرغب القيام به فإننا نمنحه فرصة للدفاع عن رأيه والمجادلة عن وجهة نظره، وقد تكون صحيحة[٣].

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[٣١٥].
(٢) «دليل التربية الأسرية» د. عبد الكريم بكار ص[١٤٤].
(٣) «دليل التربية الأسرية» د. عبد الكريم بكار ص[١٤٤].

٣- توخي المبادرة الذاتية عند الابن بدون رقابة عليه فتجده تلقائيًا يتجنب الخطأ ويفعل الصحيح.

إشارة تحذير:

فكما يجب علينا بيان الحكمة من الفعل لأبنائنا حتى يفعلو، يجب ألا يعلق الولد الأوامر والأفعال حتى يقتنع فهذا هو الإفساد بعينه، «وإلا فما العمل حين تكون الأرض كلها اجتمعت على أمر معين ولكن الطفل غير مقتنع بذلك، لضيق فهمه، هل سننتظر حين يكبر ويتسع فهمه؟!... إن الطبائع البشرية مختلفة فمن الأطفال من هو ضيق المدارك، وآخر واسع المدارك وذكي، وآخر متمرد على كل أمر، فهل يجب إقناع كل هؤلاء»[1].

فهناك أشياء في شريعتنا مثلًا لا تحتاج إلى إقناع؛ لأن طاعة الله ما هي إلا تسليم وإخبات ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة:١٤٠].

(١) «بناء مستقبل الأمة» شريف الزهيري ص[١٤٢].

فالقصد هنا بيان حكمة الفعل في البداية فإن عاند وأظهر عدم الاقتناع فالواجب بعد خوض كل الأساليب المرغبة في الفعل بيان أن طاعة الله لا تحتاج إلى اقتناع؛ فهو أعلم بنا وربما يصلحنا ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾.



٧- غياب الحوار

إن الصدام الرهيب الذي يحدث بين الأب الملتزم الذي يريد أن يرى من نسله من هو مثله، وبين الولد المتمرد على الصورة الملتزمة التي رسمهاله أبيه، ناتجًا لانعدام الحوار.

حوار نفهم فيه قناعات الابن، حوار لحل مشاكله التي يعانيها، حوار لبناء جسور من التواصل.

فلسان حال أغلب الأبناء: «لا أحد يسمعني... لا أحد يفهمني»، وشاكين من عدم التواصل مع الأهل، أضف أيضا ما يسمع منهم «إن أبي في واد وأنا في واد آخر».

فبالحوار نستطيع الدخول إلى العقول والقلوب بكل سهولة ويسر، أضف ما نجنيه من مساحات ونقاط للالتقاء والتقارب نستطيع من خلالها قيادتهم إلى طريق الخير والرشاد «ذلك أن هذا التواصل طريق الآباء إلى جعل علاقاتهم مع أبناءهم قوية متينة عميقة ومن ثم... يصبح الأبناء محببين لآبائهم، متعلقين برضاهم،

ويصبح وزن البيت في حسهم أثقل من المدرسة والشارع والأصدقاء، ويتيسر للآباء إصلاح ما يمكن أن يكون قد فسد في نفوس الأبناء بسبب من كل هؤلاء...»[1].

فوائد الحوار بين الوالدين والأبناء[2]:

١- هدم الحواجز التي تمنع الأبناء من مصارحة الآباء بكل شيء في حياتهم، واستشارتهم في كل أمر يستجد عليهم.. وهذا يُمكِّن الآباء من معرفة جميع مشاكل الأبناء وما يعانون منه، كما يمكنهم من توجيه أبناءهم على بصيرة في الاتجاه الصحيح المطلوب لأن «التربية الصحيحة تتطلب معرفة المربي بنفسيات وعقليات وهموم... من يقوم على تربيتهم، وأفضل طريقة لذلك هي إقامة علاقة منفتحة معهم يتمكنون من خلالها من البوح بما لديهم بمنتهى السهولة».

٢- إنقاذ الأبناء من خطر الصحبة السيئة لأن انعدام التواصل بين الآباء والأبناء يدفع إلى اللجوء من الابن إلى أقران السوء من

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص[٥٩٤].

(٢) «اللمسة الإنسانية» ص[٥٩٧] باختصار وتصرف، «التواصل الأسري» عبد الكريم بكار ص(١٧، ٢١).

أصحابه يستشيرهم في أمره وفيما يطرأ عليه من مشاكل، ليجد عندهم أسوأ الآراء، وأردأ الحلول التي قد ترتد عليه بالدمار والهلاك لو عمل بها...!!

٣- «إن هذا يكشف لك عن المشكلات المحتملة في وقت مبكر، ويساعدك على تقديم المساعدة في الوقت المناسب» فلكم سمعت من الأبناء من يقول: «لو كان والدي حذرني من هذا الأمر ما وقعت فيه».

٤- اكتساب الأبناء شعورًا صادقًا بحب وحنان وعطف الآباء عليهم... وهذا الشعور بمحبة الآباء من أهم المشاعر الإنسانية؛ فالابن يميل دائمًا إلى من يلتمس منه المحبة والعطف نحوه، ويكون مشدودًا إليه وإلى توجيهاته وتعليماته، فإن لم يجد هذه المحبة عند الآباء بحث عمن يجد عنده هذا الشعور ليسد حاجته في هذا الجانب.. «هناك فيض كبير من الدراسات واستطلاعات الرأي التي تؤكد أن لجوء الأولاد والبنات إلى الإنترنت وإلى الأصدقاء كان بسبب ما أشرنا إليه من الفراغ العاطفي، ومن فقد الأذن التي تصغى إليهم والصدر الرحب الذي يتسع لمشكلاتهم وهمومهم، وهناك دراسات

أيضًا كثيرة تشير إلى أن انحراف كثير من أبناء الأسر المحترمة المتدينة كان بسبب رفاق السوء الذين تعرفوا عليهم وخالطوهم في غفلة من أهلهم».

٥- تغيير القناعات الفكرية لدى الابن التي تقوده لاتخاذ القرارات، وقد طبق هذا الأسلوب مؤدب البشرية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أتى إليه شابٌّ يقول: ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ادْنُهْ**» فدنا منه قريبًا فجلس، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِم**». قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟**» قال: قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ**».

قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِم**».

قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِم**».

قال: «**أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «**وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِم**».

قال: فوضع رسول الله يده عليه، وقال: «**اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَه**» قال: فلم يكن الفتى بعد يلتفت إلى شيء[1].

فانظر ما كان منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تغيير لقناعات الشاب بمجرد فتح الحوار معه بهدوء ومحبة وما اكتفى بذلك بل ودعا له أيضًا.

٦- هي توجيه غير مباشر، فهي تزيد الثقة بالنفس، فلا يكون الإنسان سلبيًا ينتظر أمرًا ونهيًا، أو إمعة يقبل كل ما يلقى إليه، والإنسان أشد ما يكون صراحة مع نفسه وفكره عندما يواجهها بالحقيقة، بينما يصعب عليه في كثير من الحالات قبول ذلك من غيره؛ لأنه يشعر وكأنه تهديد لكيانه الفكري والنفسي»[2].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» للألباني [٣٧٠].

(٢) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١٩٨].

حتى يكتمل البناء:

وبعد أن تعرفنا على أهمية الحوار، لا مناص من حاجتنا إلى فتح الصناديق المغلقة عند الأبناء، نفتح ونفتش لعلنا نجد ما يوصلنا إلى إصلاح ما فسد، أو البقاء على الصالح منه، ولكن بقيت عدة إرشادات لكي يتم البناء على الوجه الصحيح وهي:

١- يجب أن نخصص وقتًا للجلوس مع الأبناء لأن ذلك من حق أبنائنا علينا،والله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه**»[1]. إذن فإنها مسؤولية كما أن إطعامهم وملبسهم مسؤولية، فيجب أن نوازن بين مسؤوليات الأبناء حتى لا يحدث خلل في العملية التربوية، وحينها لا ينفع الندم، «لقد أصبحنا كلنا أو معظمنا مشغولين خارج بيوتنا في أعمالنا الوظيفية أو التجارية، وكثيرًا ما نرجع آخر الليل لنجد أبناءنا في نوم عميق وقد نصبح والأبناء في مدارسهم، وهكذا... بل ربما مضت أيام دون أن تقع

(١) «صحيح البخاري» [١٩٦٨].

أنظارنا على أبنائنا!! فأين التوجيه؟! أبوة التربية، أبوة العطاء والتجربة والخبرة»[(١)].

فيا معشر الآباء، يا من نرى أن انشغالنا في أعمالنا تأمين لمستقبل أبنائنا، أين نحن من تأمين رصيد الحب والتواصل الذي لا يشترى بالمال.

«إن السواد الأعظم منا مقصرون في التواصل مع أبناءهم وإننا جميعًا نستطيع أن نفعل أفضل مما فعلناه على هذا الصعيد، وإن الوعي بأهمية هذه المسألة يشكل الخطوة الأولى، وقد آن الأوان لنخطو تلك الخطوة».

فيا خادم الجسم والروح متعبة، يجب عليك إعطاء أولادك من الوقت ما يكفيهم للحوار والنقاش معك وحل مشاكلهم، وأن نرتبط معهم بمواعيد تجمعنا وإياهم.

فيا خادم الجسم تسعى لراحته	**أتعبت نفسك فيما فيه خسران**
أقبل على الروح فاستكمل فضائلها	**فأنت بالروح لا بالجسم إنسان**

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص[٥٩٥].

٢- دع الابن يقوم بمعظم الحديث ولا تملك الحديث كله لأن ذلك يقود إلى فتح القلوب وراحة النفوس «فالأبناء والأمهات في حاجة شديدة إلى تطبيق قاعدة الاستماع مع أبناءهم، ولو فقه الآباء هذه القاعدة وطبقوها، لانتهت الكثير من المشاكل مع أبناءهم، ولمنعت الكثير من المشاكل»[١].

فعلى الآباء والأمهات أن يتقنوا فن الإصغاء إلى أبناءهم؛ لأن المستمع الجيد هو المحاور الناجح، فكم سمعت من الأبناء من يقول: «لقد أعطاني أبي محاضرة اليوم...».

٣- أن يكون الحوار بدون استقصاء وذلك يتم على محورين:

الأول- عدم استقصاء المشاكل التي يمر بها الأبناء مثل مفاتحته في أمور البلوغ والانحرافات الجنسية، ولكن لا يكون الحوار على مستوى الأسرة ويكون الأب أو الأم على درجة من الذكاء في الدخول للحوار.

---

(١) «سحر الاتصال» محمد العطار ص[٤٩].

الثاني- «فهم الصورة الذهنية التي كوَّنها الأولاد عن الآباء وعن منزلهم وأسرتهم ومحاولة تعديلها، وهذه مهمة للغاية؛ لأن الاحتكاك الطويل بين أفراد الأسرة يجعل كل واحد منهم يشكل في عقله انطباعات عن باقي أفرادها، فهذا طفل يعتقد أن أباه بخيل لأنه يظن أنه يملك الملايين وهو لا ينفق على أسرته كما ينفق والد صديقه الذي يعمل في وظيفة متواضعة... هذه الصور والمعتقدات بقطع النظر عن صحتها وواقعيتها، تضعف التفاعل بين أفراد الأسرة وتجعل تأثير الأبوين في الصغار أقل مما ينبغي... وأعتقد أن كثيرين منا سيصابون بالصدمة من مدى التشوه الذي لحق بصورتهم في أذهان أبناءهم»[1].

وعليك أن تتقبل من ابنك كل ما يدور بباله عنك لكي تعرف كيف الدخول إلى ما تريد، ولاحظ أن الأطفال أو المراهقين لا يحسنون أحيانًا التعبير فيلجئون إلى العفوية والتلقائية في الكلام فعلينا أن ننبه على عدم تجاوز حدود الأدب بكل هدوء.

---

(١) «التواصل الأسري» عبد الكريم بكار ص(١٨، ١٩).

٤- أكثر من الأسئلة المفتوحة التي لا تنتهي إجابتها بنعم أو لا؛ لكي لا ينقلب الحوار إلى تحقيق.

٥- مراعاة الجو النفس والاجتماعي لطرفي الحوار؛ فلا يصح أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق أو الحاجة إلى النوم أو الجوع»[١].. وحبذا أن يتم الحوار في أجواء لا تنقطع كثيرًا مثل السفر أو ركوب السيارة.

٦- «مراعاة الآداب الإسلامية القولي منها والعملي في الحوار.. مثل احترام الآخر، التلطف في القول، الابتسامة، تجنب الغضب، تجنب اللوم المباشر... إلخ[٢].

٧- «ضرورة المحافظة على هدف الحوار... حتى لا يخرج المتحاوران عن الموضوع بمناقشات جزئية أو جانبية»[٣].

٨- خاطب على قدر العقول.

---

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١٩٦].
(٢) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١٩٧].
(٣) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[١٩٧].

٩- التفاعل مع المتحدث بالإشارات والجسم والعينين مما يشجع على استمرار الحوار بطريقة ناجحة «فبعض الناس تجد في وجوههم دائمًا نوع من الجمود والبلاهة والتجهم، إنهم لا يعبرون، وتشعر وأنت تتحدث معهم وكأنك تتحدث مع تمثال أو دمية.. في حين أن التواصل البصري بين المتحاورين أيضًا مهم وقد قالوا قديمًا: «العينان مغرفتا الكلام»[(١)] فمن الواجب أن تعطي انطباعات إيجابية لمن تحاوره مما يعطي المتحدث شعور باهتمامك به وبحديثه فيتكلم أكثر وأكثر.

١٠- كن هادئًا قدر الإمكان؛ فكثير من الأبناء يكون رد فعل الأب معوقًا أساسيًا في فتح الحوار، «فإذا أردت لحوارك مع أبنائك أن يستمر، فتنبه إلى ردود أفعالك لحديثهم حتى وإن عبر الأبناء عن مشكلة، فينبغي أن تكون هادئًا قدر الإمكان، فهذا سيجعله أكثر جرأة على البوح والحديث، ومن ثم تتدارك مشكلاتهم قبل أن تتفاقم»[(٢)]. وقد طبق هذا الأمر خير البشر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما

---

(١) «التواصل الأسري» عبد الكريم بكار ص[٦٠].

(٢) «كيف تحاور أبناءك؟» محمد أحمد عبد الجواد ص[٧٣].

جاء الشاب يستأذنه في الزنا، فانظر ما كان منه من هدوء واستيعاب للشاب، ولولا أن الشاب متوقع الهدوء وأن هذا سيكون رد فعل الرسول ما ذهب إليه من الأساس.

١١- استخدم أسلوب الرسائل مع أبناءك فهذا يساعدهم في البوح بما عندهم بكل سهولة ويسر، حقًا ما أمتع هذا الأسلوب!! يا لها من متعة وأنت تقرأ رسالة من ابنك يبوح لك بما عنده من مشاعر ومشاكل وآراء وطموحات!! فبعض الأبناء لا يحسن الكلام كما يحسن الكتابة.



٨- القسوة

وقسا ليزدجروا ومن يك حازمًا فليقس أحيانًا على من يرحم

بيَّن الشاعر أبو تمام من خلال أبياته حدود ومقدار القسوة في التربية التي كثير من الأباء عموا وصموا ثم عموا وصموا عنها... فليس إلا الضرب والإهانة والزجر حتى انقلب بيت الشعر من «وقسا ليزدرجوا» إلى «وقسا لينحرفوا».

وللأسف تجد بعض الملتزمين ينتهج نهج القسوة المفرطة في تربية أبناءه، ويجبرهم على فعل الطاعات ويضربهم لمجرد الخطئ الصغير، مما يترك انطباعًا سيئًا وصورة ذهنية خاطئة عن «الالتزام».

ولنا في مشكلة القسوة عدة وقفات ستكون شاملة للعلاج:

١- الرحمة هي الأصل:

«إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ»(١). هكذا وضح لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاعدة أصولية في

(١) «صحيح مسلم» [٢٥٩٤].

التربية أفادت أن الرفق واللين هما الأصل في معاملة الأولاد، فما عُرِفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بملاطفته ومداعبته للأطفال.

فإذا تدبرنا في أحاديثه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نجد تأكيدًا على هذا المبدأ؛ فعن أبي موسى الأشعري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه ومعاذًا إلى اليمن وقال لهما: «**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا**»(١). وقال أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: «**عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ**»(٢)، وعندما أعطى النبي لعائشة ناقة صغيرة قال لها: «**يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي**»(٣)، فالناقة الصغيرة لم تتعود على الحمل والسير وطاعة صاحبها، فتحتاج إلى ترويض برفق، فمن باب أولى الرفق بالأبناء من البهيمة.

---

(١) «صحيح البخاري» [٣٠٣٨]، «صحيح مسلم» [١٧٣٣].

(٢) «صحيح البخاري» [٦٠٣٠].

(٣) «صحيح أبي داود» للألباني [٢٢٤٠].

فلنعلم أن كل ما يحتاجه الآباء من أبنائهم لا يجيء إلا بالرفق لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ**»(١).

٢- أضرار القسوة:

«ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلّمه المكر والخديعة، ولذلك صارت له عادة وخلقًا، وفسدت معاني الإنسانية التي له»(٢).

هكذا أقر ابن خلدون في مقدمته قاعدة تربوية عظيمة نستشف منها الأضرار التي تلحق بالأبناء بسبب القسوة(٣):

---

(١) «صحيح مسلم» [٢٥٩٣].

(٢) «مقدمة ابن خلدون» ص[١١١٩]، طبعة مكتبة الأسرة.

(٣) «الموسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[٤٠٥]، باختصار وتصرف.

١ـ الخوف: يؤدي كثرة العقاب أو شدته إلى الخوف، والخوف بدوره يؤدي إلى رد فعل دفاعي غير سوي، كذلك فإننا نجد انفعال الخوف يؤثر على وظائف الأعضاء التي يتحكم فيها الجهاز العصبي، مما يؤدي إلى الأمراض النفسية والجسمية ويؤثر في سلامة التفكير أو الحركة.

٢ـ فقدان الثقة بالنفس: إن العقاب البدني أو الإفراط في النقد والتوبيخ يؤدي بالقطع إلى فقدان ثقة الطفل بنفسه خصوصًا إذا كانت تلك العقوبات أمام الناس.

٣ـ العناد: وبالعناد يحاول الابن الانتقام ممن يعاقبه على طريقته فحينما يعاقب بشدة على أمر معين تجده يفعل العكس عندًا فيمن يعاقبه، فكثيرًا ما ألاقي شكاوى من أبناء الملتزمين أنهم ما التزموا بسبب أن آباءهم استخدموا معهم القسوة والإجبار، فهذا حالق لحيته وهذا تارك لحلقات المسجد وآخر والعياذ بالله تارك للصلاة، وهذا إن لم يكن ظاهر للأب فسيفعله في الخفاء لأنه تعلم المكر والخديعة من كثرة الضغط عليه، فكما شرحنا سلفًا أنه لابد من

الإستعانة بالإقناع في أمور التربية، وقد قال رب العزة على لسان نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨].

٤- تحول الوالدين إلى عدو للطفل: كما أن العقاب يجعل الطفل يخاف من الوالدين أو المعلم، الذين هم مصدر للعقاب، فلا يقيم معهم علاقة دافئة ويظل جو الأسرة متوترًا أو غير صالح للبناء ويصبح الطفل غير مستعد للتقبل منهم؛ لأنهم في اعتباره سلطة قاسية مسلطة فوق رأسه، فكم من الأبناء تحاورت معهم وذكروا لي عن الكره الذي يكنوه لآبائهم بسبب تسلطهم مما أدى بأحدهم الى الدعاء على أبيه!!

فما أسوأ الحياة عندما يكون قدوم الأب غير مرغوب فيه، ويصيب الكل الكآبة وحين يخرج تصفو الحياة وتنفك القيود.

٥- الحرمان من السعادة والاطمئنان: وحين يحرم الطفل من السعادة والأمن في أسرته، فسيبحث عن فرص السعادة خارج نطاق الأسرة وقد ينخرط مع رفقاء السوء... وهكذا حال كثير من الأبناء خشية الاحتكاك بالوالدين.

٦- الإتكالية وفقد المبادرة: لأن الطفل هنا يتحول إلى دمية بيد المربي، يشاهد بعين المربي، ويسمع بأذنه، وينطق بلسانه، ويتنازل بذلك عن الحياة التي تناسب تفكيره إرضاء لمربيه.

٧- العدوان وحب الانتقام: كثرة العقاب أو قسوته يكشف للطفل عن سلوك عدواني فيمن يعاقبه، ومن ثم فالطفل يقلِّد هذا السلوك بسلوكيات عدوانية مختلفة في البيت أو المدرسة، والعدوان هو أبرز وأهم مخاطر العقاب البدني وأكثرها شيوعًا، ومن ناحية أخرى، فإن العقاب البدني يجعل الطفل يرى أنه من حق الكبار ضرب الصغار، فسنجده بعد فترة قصيرة يضرب من هو أصغر منه.

٨- ضعف شخصية المربي: «ربما لا نجاوز الحقيقة حين نقول: أن لجوء الأب والمربي للضرب دائمًا، هو دليل على نقص قدراته في مواجهة المشكلات، بل قد يصل بعض الأحيان أن يكون دليلًا على ضعف شخصية المربي»[١].

---

(١) «اللمسة الإنسانية» د. محمد بدري ص[٤٥٣].

٩- أي جيل نخرج؟! وكما قال ابن خلدون: «من كان مرباه بالعسف والقهر.. حمل على الكذب والخبث».

ومما ينبغي أن يُعلم أن العقائد لا تستقر في النفوس من تحت وطأة الشدة والعنف القهر على الإطلاق، وإنما تستقر بالإقناع والحجة والدليل، فقد قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال أيضًا: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]، حتى المسلمين في حروبهم كانوا لا يجبرون أحدًا على الدخول في الإسلام عنوة وإنما من أراد البقاء على دينه بقى ودفع الجزية؛ لأن العقيدة لو استقرت يكون من الصعب إزالتها، ولو تعرض صاحبها للموت.

فلا تعجب من ولد أُجبر على إطلاق لحيته والحضور في المسجد، وبعدها تجده يجلس في المقاهي وتنطلق منه أقذر الألفاظ.

كذلك لا تندهش حين ترى بنتا مجبورة على لبس النقاب وتجدها هي نفسها التي تسمع الأغاني وتدخل السينمات.. فأي جيل نخرج؟!

فلنعلم أن بالإجبار والقسوة لا نخرج إلا جيلًا يناقض نفسه لا يعرف إلا الكذب والتلون.

٣- كُل ابن آدم خطّاء:

«**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ**»[(١)] بهذه الحقيقة النبوية وضح لنا رسول الله أن ما من أحد من العالمين إلا ويخطئ، لذا وضع الإسلام قاعدة العقاب، نعم؛ فتربية بلا تأديب هباء «إن التربية الرفيقة اللطيفة الحانية كثيرًا ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة ونظافة واستواء، ولكن التربية التي تزيد من الرقة واللطف والحنو تضر ضررًا بالغًا لأنها تنشئ كيانًا ليس له قوام، ومن هنا كان لابد من شيء من الحزم في تربية الأطفال وتربية الكبار، لصالحهم هم أنفسهم قبل صالح الآخرين»[(٢)].

ولقد استخدم ﷺ أسلوب العقاب مع زوجاته وأصحابه ولكنه المربي الأول كان همه تعديل السلوك لا التشنيع والإهانة، فمرة بالتوجيه، ومرة بالعتاب، ومرة بالتوبيخ.

(١) «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني [٣١٣٩].

(٢) «منهج التربية الإسلامية» أ. محمد قطب ص[١٩١].

«وبعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقوبة، وتكره ذكرها على اللسان، ولكن الجيل الذي أُريد له أن يتربى بلا عقوبة في أمريكا جيل منحل متميع مفكك الكيان»[1].

فلا تربية من غير تأديب «فإنه لابد من ممارسة المنع والحظر والعقوبة والحرمان من بعض الميزات حتى ينشأ النشأة الصالحة المرضية»[2].

ولكن هناك بعض الإشارات في هذا العنصر تضيئ لنا الطريق:

(أ) هناك فرق بين الحزم والقسوة: «التأديب الصحيح هو التأديب الذي يحمل رسالة واضحة بالخطأ الذي ارتكبه الطفل وبضرورة عدم تكراره في المستقبل، وهذا يعني أن التأديب ينبغي أن يتم على قدر الإمكان في إطار العلاقة الحسنة بين الأبوين والصغار؛ لأن العلاقة الدافئة هي الحبل السري الذي يتغذى منه الطفل

(١) «منهج التربية الإسلامية» أ. محمد قطب ص[١٨٩].

(٢) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[١٠٣].

وينبغي المحافظة عليها بكل وسيلة، واستهداف العودة إليها عقب كل تأديب وكل عقوبة.. إن التأديب الحازم يعني أنه منطقي وحكيم ومنصف وبعيد عن الإفراط»[1].

القسوة:

١ - أما القسوة فهي عياء لا تأخذ شيئًا من ذلك في الاعتبار ولذلك فليس لها حدود، بل هي منفلتة.

٢ - هي صدى انفعال تفوح منه رائحة الغضب المستشيط والسيطرة والخروج عن حد المعقول.

٣- تستهدف القسوة سلب إرادة الشاب المراهق وجعله عاجزًا عن إصلاح نفسه لأنها مشفوعة بالانفعالات.

٤ - القسوة لا تحقق إلا فقدان الشخصية والتبعية وفقدان الإحساس بالمسؤولية وتحول دون تبلور الشخصية السوية.

«القسوة عامل هدم وتدمير».

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[٣٠٦].

الحزم:

١- يقال إن الحزم «متبصر» أي يقدر حالة الأبناء والبنات، والظروف المحيطة بهما، والوضع النفسي لهما، ولذلك فهو يتحرك ضمن حدود معلومة.

٢- هو صدى الحكمة والعقل والاهتمام بمصلحة الشاب أو الشابة.

٣- يستهدف الحزم مساعدة الشاب على إصلاح نفسه بنفسه، فهو عادة مصحوب بالحب الصادق.

٤- الحزم يساعد على الاستقلال التدريجي وتحقيق قدر أكبر من التكيف.

«الحزم عامل بناء».

(ب) مراعاة طبيعة الطفل: من أهم الإشارات التي نود لفت الأنظار إليها ألا وهي مراعاة طبيعة الابن؛ فهناك من الأبناء من هو عنيد، وآخر هادئ، وثالث ذكي، كما أن بعضهم يصلح معه التوبيخ، وآخر النظرة العابسة، وبعضهم لا يصلح معه إلا الضرب ولكن بضوابطه.

وهناك وجه آخر في الفروق ألا وهو عامل العمر؛ فابن الخامسة ليس كابن الخمسة عشر، «نحن نعرف أن طبائع الأطفال ليست واحدة، ففيهم المسالم المطواع الهادئ، وفيهم المشاغب المشاكس العنيد، ومن هنا، فإن احتياجهم إلى التأديب والصرامة في التربية ليس على درجة واحدة، لكنهم جميعًا في حاجة إلى الشعور بوجود سلطة تسدد وتقوِّم وترشد، وتحول دون قيام الطفل بأشياء غير ملائمة، أو تنطوي على نوع من الأذى لنفسه أو لغيره»[1].

ومما ورد أيضًا في هذه الإشارة «أن الأولاد يتفاوتون فيما بينهم ذكاء ومرونة واستجابة.. كما أن أمزجتهم تختلف على حسب الأشخاص؛ فمنهم صاحب المزاج الهادي المسالم، ومنهم صاحب المزاج المعتدل، ومنهم صاحب المزاج العصبي الشديد.. وكل ذلك يعود إلى الوراثة وإلى مؤثرات البيئة، وإلى عوامل النشأة والتربية»[2].

---

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[١٠٣].

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٥٤٦].

(جـ) التدرج في المعاملة: من الأخطاء الشائعة بين المربين استخدام أسلوب العقاب البدني في علاج الأخطاء كوسيلة أولى ووحيدة ناسين أنهم يسلكون الطريق من آخره، ناسين أن الكي آخر العلاج.

«فضرب الولد عند الحاجة لتأديبه وتربيته جائز، ولكن يجب أن يعي الأب المسلم أن آخر العلاج الكي، فإن استخدام أسلوب العقاب البدني يجب أن يكون هو الوسيلة الأخيرة في العقاب، فإن تعود الطفل وألفه عند كل خطأ يقع فيه؛ فإنه لن يصبح له تأثير بعد ذلك، إلى جانب أن وسائل العقاب الأخرى مثل الهجر والحرمان من المصروف وغيرهما من العقوبات النفسية لن تفلح معه بعد فشل العقاب البدني، لهذا كان لزامًا على الأب الواعي أن يتدرج في إيقاع العقوبة على الطفل فيبدأ بعدم التشجيع مثلًا، ثم الإعراض عنه وإعلامه بعدم الرضا عنه ثم الزجر والعبوس في وجهه، ثم الهجر والمقاطعة، ثم حرمانه من محبوباته وهكذا، حتى يصل إلى العقوبة البدنية مع التدرج فيها من الضرب الخفيف إلى الأشد.. وتعد هذه الأخيرة هي أشد أنواع العقوبات»[1].

(١) «مسؤولية الأب المسلم» عدنان باحارث ص(٨٤، ٨٥).

«مما نوَّهنا عنه قبل قليل أن العقوبة التي يجريها المربي للولد يجب أن تكون في مرحلتها الأخيرة الضرب ومعنى هذا أن هناك مراحل من المعالجة والتأديب يجب أن يمر عليها المربي قبل اللجوء إلى الضرب لعلها تؤدي الغرض في تقويم اعوجاج الطفل، ولعلها تصلح من شأنه وترفع من مستواه الأخلاقي والاجتماعي، وتجعله إنسانًا سويًا»[1].

وقد أقر الله تعالى التدرج في العقوبة في القرآن ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النساء: ٣٤].

فهذه ثلاث خطوات:

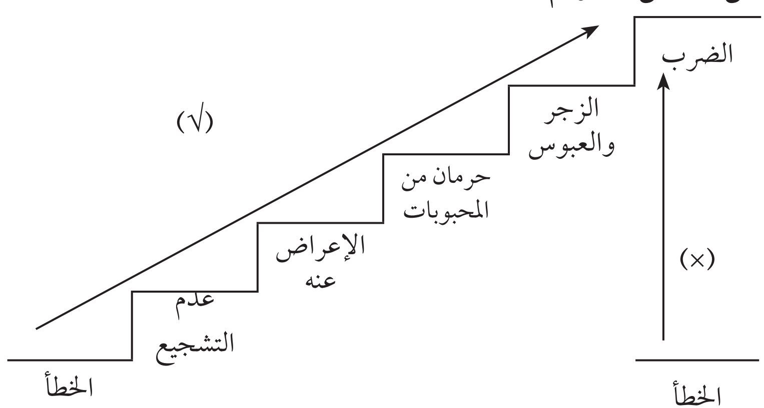
١- فعظوهن.

٢- واهجروهن في المضاجع.

٣- واضربوهن.

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٥٤٨].

فهذا دليل على أن اللجوء للضرب لا يجوز إلا بعد اليأس من كل وسائل التقويم.



أما في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ**»[(١)] فكان أمره لمدة ثلاث سنوات وبعدها يتم الضرب، فالسنة يوجد فيها ٣٦٠ يومًا.

٣٦٠ يومًا × ٣ سنوات = ١٠٨٠ يومًا.

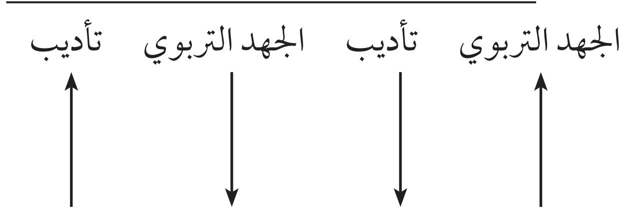
١٠٨٠ يومًا × ٥ صلوات = ٥٤٠٠ أمرًا بالصلاة بدون نهر أو ضرب.

---

(١) «سنن أبي داود» [٤٩٥].

(د) التأديب جهد تكميلي: «هذه قضية مهمة للغاية؛ حيث إن الذي يساعد على بناء شخصية الطفل على نحو جيد هو تلك المبادرات العاطفية التي يلمسها الطفل من أبويه، وتلك الإرشادات التعليمية والتوجيهية التي يسمعها منهما، الطفل من خلال اقتدائه بأبوين محترمين، ومن خلال عيشة في أسرة كريمة يتعلم كل الفضائل التي ينبغي أن يتعلمها، وإن لم يستطع الالتزام بها يعرف بوضوح أن عليه الالتزام به، العقوبات لا تنشئ طفلًا ولا دولة ولا مجتمعًا، لكنها تحمي الطفل والدولة والمجتمع، وما ينبغي أن يستغرقه جهد التأديب محدود جدًّا بالنسبة للجهد الذي ينبغي أن يبذل في تكوين عقلية الطفل ونفسيته... القاعدة العامة في هذا هي: المزيد من الجهد التربوي الإيجابي سوف يقلل من الحاجة إلى التأديب والعكس صحيح»[(١)].

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» د. عبد الله ناصح علوان ص[٥٤٨] باختصار وتصرف.



(هـ) أنواع الإرشاد[1]:

الإرشاد المباشر: روى البخاري عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[2].

الإرشاد بالإشارة: روى البخاري عن ابن عباس قال: كان الفضل رديف النبي ﷺ، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي ﷺ يصرف

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[٣٤٨] باختصار وتصرف.

(٢) «صحيح البخاري» [٥٣٧٦]، «صحيح مسلم» [٢٠٢٢].

وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: إن فريضة الله أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «**نَعَمْ**»(١).

الإرشاد بالتوبيخ: روى البخاري عن أبي ذر قال: إني سابيت رجلًا فعيرته بأمه - [قال له: يا ابن السوداء] - فقال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»(٢).

الإرشاد بالتعريض: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم**» فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «**لينتهين عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم**».

الإرشاد بالعتاب: عن عبد الله بن بسر قال: بعثتني أمي إلى رسول الله بقطف من عنب فأكلته، فقالت أمي لرسول الله: هل أتاك

---

(١) «صحيح البخاري» [١٨٥٥]، «صحيح مسلم» [١٣٣٤].

(٢) «صحيح البخاري» [٣٠].

عبد الله بقطف؟ فقال: «**لا**»، فجعل رسول الله إذا رآني قال: «**غدر غدر**».

قال أنس بن مالك: كان رسول الله من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة فقلت: والله لا أذهب أي لتلك الحاجة وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قابض بقفاي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك فقال: «**يا أنيس اذهب حيث أمرتك**» قال: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله.

الإرشاد بالزجر: ورد في الصحيحين عن أبي هريرة، قال: أخذ الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كخ.. كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**».

الإرشاد بالهجر أو المقاطعة: وقد نهج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نموذجًا عمليًا للمقاطعة لمن تخلف عن معركة تبوك، يقول كعب بن مالك: «نهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين عن كلامنا أي الثلاثة

من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس وقال: تغيروا لنا، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

الإرشاد بالقدوة العملية: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرَّ بغلام وهو يسلخ شاة فقال له رسول الله: «**تنح حتى أريك**»، فأدخل يده بين الجلد واللحم فدحس بها حتى توارت إلى الإبط، ثم مضى فصلى بالناس ولم يتوضأ.

الإرشاد بالمحاولة والتكرار: روى أبو داود والترمذي عن كلدة بن الحنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخلت عليه، ولم أسلِّم فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل؟**».

الإرشاد بالتخويف: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه أدب لهم**».

الإرشاد بالضرب:

من الناس من لا يرتجى نفعه إلا إذا مس بإضرار

كالعود لا يطمع في طيبه إلا إذا أحرق بالنار

فكما ذكرنا من قبل أن الأبناء يتفاوتون في طرق الإرشاد، فمن الأبناء لا ينصلح حاله إلا عند آخر مرحلة ألا وهي الضرب، ولكن للأسف تجد بعض الآباء يضرب كأنه في مشاجرة أو أنه أمسك بسارق لا يدري أنه مطالب بقدر معين من الضرب، وأن الإسلام وضع حدودًا لهذا النمط من التأديب لأنه إن زاد عن حده انقلب إلى ضده، فمن الآباء من تجده يضرب ابنه بسلك المسجل، وآخر يضرب ابنه مائة بالعصا على يده، وثالث يربط ابنه حتى الصباح.. فماذا تنتظر من هؤلاء الأبناء حين يكبروا؟! أو حتى بعد العقوبة؟! والله ما أرى أمامي إلا حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده**».

فلماذا يا أخي الفاضل نتبع هدي رسول الله في كل شيء إلا في التربية، فعبادة بلا إتباع هباء وعدم، كذلك تربية بلا إتباع لا تصلح.

فهذه بعض الآداب التي وصى بها رسول الله في التربية كي يكون الضرب لتعديل السلوك وليس لإفراغ الغيظ[1].

١- ألا يلجأ المربي إلى الضرب إلا بعد استنفاذ جميع الوسائل التأديبية والزجرية التي سبق بيانها؛ فالتوجيه المباشر ثم العتاب ثم التوبيخ ثم الهجر ثم الحرمان من الشيء بعد كل هذه الوقفات نلجأ إلى الوقفة الأخيرة أيضًا يلزمنا أيضًا التدرج في استعمال الضرب.

٢- ألا يضرب وهو في حالة عصبية شديدة مخافة إلحاق الضرر بالولد؛ أخذًا بوصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تغضب**»، وروي أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قد أمر بضرب رجل، فلما أقيم للضرب، قال: اتركوه، ولما سئل في ذلك قال: «وجدت في نفسي غضبًا عليه، فكرهت أن أضربه وأنا غضبان».

٣- ألا يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن أخذًا بالحديث: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها لعشر**» فقد أمر النبي بالضرب من عشر؛ وذلك للتفريط

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٥٥٢] باختصار وتصرف.

في عمود الدين، فمن باب أولى أن يطبق ذلك في التربية وتعديل السلوك.

٤- أن يكون الضرب في المرات الأولى من العقوبة غير شديد وغير مؤلم، وأن يكون اليدين والرجلين بعصا غير غليظة وأن تكون الضربات من واحدة إلى ثلاثة إذا كان الولد دون الحلم، وإذا شارف الولد على البلوغ ورأى المربي أن الضربات الثلاث لا ترجع، فله أن يزيد حتى العشرة لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله تعالى**»، وتذكر قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من ضرب سوطًا ظلمًا، اقتص منه يوم القيامة**».

٥- أن يتجنب في الضرب الأماكن المؤذية كالرأس والوجه والصدر والبطن؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ولا تضرب الوجه**»، ومما يؤكد هذا، أن النبي لما أمر برجم الغامدية، أخذ حصاة كالحمصة ورماها بها، ثم قال للناس: «**ارموها واتقوا الوجه**»، وإذا كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منع الضرب على الوجه في الرجم الذي فيه إتلاف النفس وإهلاكها، فإن ضرب الوجه على ما ليس فيه إتلاف للنفس كالتعزير والتأديب يكون ممنوعًا من باب أولى، أما الضرب على

الصدر أو البطن فإنه ممنوع أيضًا لكونه يؤدي إلى أضرار بالغة تقضي إلى الوفاة أحيانًا، كذلك الفرج لقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لا ضرر ولا ضرار**».

٦- إذا كانت الهفوة من الولد لأول مرة، فيعطى له الفرصة أن يتوب عما اقترف، ويعتذر عما فعل، ويتاح له المجال لتوسط الشفعاء ليحولوا ظاهرًا دون العقوبة من أخذ العهد عليه، حتى لا يعود للخطأ مرة أخرى.

٧- أن يقوم المربي بضرب الولد بنفسه، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الإخوة أو من الرفقاء... حتى لا تتأجج بينهم نيران الأحقاد والمنازعات.

٨- إذا استجارك ابنك بالله فإن رسول الله يدعوك للتوقف عن الضرب «إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم».

٩- إذا استعمل عصا أو سوط فله شروط:

فيجب أن يكون بين اللين والشدة فقد روى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم، أن رجلًا اعترف بنفسه بالزنا على عهد رسول الله

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعا رسول الله بسوط فأتي بسوط مكسور، فقال: «**فوق ذلك**»، فأتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال: «**بين هذين**» فأتي بسوط لان ورُكب به فأمر به فجلد.

ويجب أن يكون الضرب مفرقًا لا في مكان واحد، أن يكون بين الضربتين زمن يخف به ألم الأول، ألا يرفع الضارب السوط حتى يرى بيض إبطه.

(ز) العقوبة وسيلة: فكما قلنا إن أمر العقوبة ليس إلا لتعديل السلوك؛ إذًا فإنه وسيلة وليست غاية في حد ذاتها، فمن هذا المنطلق يجب أن نخطط قبل أن نعاقب من حيث ردود الأفعال، وكيفية عودة العلاقة بعد التوتر «العقوبة في سياق التربية أشبه (بالتحويلة) نخرج فيها عن الطريق لنعود إليه بعد انتهائها، وكلما كانت التحويلة أقصر وأوضح كان ذلك أفضل»[1] فينبغي أن يكون همّ المربي هو تعديل السلوك وليس العقاب في حد ذاته، وحين يعاقب يجب أن يعرف كيف يتم إعادة العلاقة بشكل سليم لا أن تعود وفقط.

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[١١١] باختصار.

٩- القـــدوة

يعتقد الكثير من الآباء أن الأطفال هم المسؤولون عن تصرفاتهم وسلوكياتهم، وهذا اعتقاد خاطئ؛ فالوالدان هم المسؤولون عنها في المقام الأول، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**»، فهذا توضيح وإشارة إلى أن الطفل مثل الورقة البيضاء يكتبها والديه، ولكن لا تكتب بالأقوال وإنما بالأفعال، فابنك يرى الحسن ما تراه حسنًا، ويرى القبيح ما تراه قبيحًا.

فهذا السبب يعد من الأسباب الهامة في اعوجاج أبناء الملتزمين وهو غياب القدوات، فالابن لا يرى إلا قميصا ولحية محفوفة بكسل في الطاعات وغرق في جمع الدنيا، يرى أبًا لا يعطي للدين إلا الفتات من وقته، يرى أمًا أخفت وجهها عن الناس وما أخفت كذبها وغيبتها، يرى تناقضًا في الأقوال والأفعال من والديه أسلبته الثقة فيهم، إلا من رحم الله.

فما العجب في ابن لأب ملتزم وجد أبًا لا يحافظ على الصلاة في أوقاتها، فهو على خطاه يسير؟!

وما العجب في ابن لأب ملتزم يجد أباه متميعًا في حمل أمانة الدين والدعوة إليه من أن يقتفي أثره؟!

ولم السؤال عن بنت لأم ملتزمة حين تجد أمها تتابع المسلسلات والأفلام فهي تتبع نهجها؟!

قالوا عن القدوة:

«القدوة في التربية هي أفضل الوسائل جميعًا وأقربها إلى النجاح، من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن هذا المنهج يظل حبرًا على ورق، معلقًا في الفضاء؛ ما لم يتحول إلى حقيقة واقعية تتحرك في واقع الأرض، ما لم يتحول يترجم سلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ يتحول المنهج إلى حقيقة، يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ.

ولقد علم الله سبحانه وهو يضع ذلك المنهج العلوي المعجز أنه لابد من ذلك البشر، لابد من قلب إنسان يحمل المنهج ويحوله إلى حقيقة لكي يعرف الناس أنه حق... ثم يتبعوه.. لابد من قدوة»[1].

«إن رحلة تربية الأبناء على النحو الجيد سوف تبدأ من عندنا حين نقرر أن نربي أنفسنا، ونضغط عليها كي نربي أبناءنا، ومن غير هذه العزيمة فإن الخسارة ستكون فادحة!

إن الأمة الفقيرة ليست هي التي لا تملك الكثير من المال، لكنها تلك التي يلتفت أطفالها يمنة ويسرة، فلا يرون إلا النماذج الباهتة، ورجالًا ونساءً من الدرجة الرابعة، وأن الأسرة الفقيرة ليست هي التي تسكن في بيت متواضع، لكنها الأسرة التي لا يرى صغارها في كبارها شيئًا يملأ العين، هذا هو المعيار الأخلاقي والحضاري للغنى والفقر»[2].

(١) «منهج التربية الإسلامية» أ. محمد قطب ص[١٨٠].
(٢) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[٣٢].

أهمية القدوة[1]:

١ـ أن القدوة وسيلة من الوسائل التي تربى عليها النبي الكريم لسلوك منهج الدعوة الذي سلكه الأنبياء من قبله، حيث عرضت عليه حياة الأنبياء في قصص القرآن ليقتدي بهم في إبلاغ الرسالة، وقد قال الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾.

[الأنعام: ٩٠]

٢- أن الإنسان جُبِل على المحاكاة والتأثر، وفي الوقت نفسه يحب البطولة والكمال، فإذا رأى من ذلك شيئًا كان أوقع في نفسه من الحديث المجرد عن تلك الكمالات والبطولات خاصة في مرحلة المراهقة والشباب، فإنها تشهد قابلية شديدة للاستهواء، «ففي أوقات الشدائد، وعند المحكات والاختبارات، لا يتذكر المربي ما سمعه منك وإنما ما رآه»[2].

---

(١) مقالة بعنوان «القدوة والاقتداء» يوسف عبد الله العليوي، موقع المربي.

(٢) «سلسلة مهارات المربي» «القدوة»، وليد الرفاعي.

٣- أن القدوة تقنع الآخرين بإمكانية بلوغ الفضائل؛ فربما يتحدث المتحدث عن الفضائل التي ينبغي أن يُتحلى بها، أو المواقف التي ينبغي أن تُوقف فيسمع الناس حديثًا يظنونه من عالم الخيال، ولا يمكن تطبيقه على أرض الواقع فإذا رأوه واقعًا أدركوا بإمكانية بلوغها.

٤ـ أن الفعل أبلغ في إفهام المتلقين من القول المجرد عنه، فإن المتحدث يتحدث الى الناس وهم مختلفة عقولهم في مدى استيعاب الكلام وفهمه، فيخرج السامعون وهم يعبرون عن الكلام حسب ما أدركته عقولهم، ولكن ماذا لو كانوا يرون أمامهم مواقف وأفعالًا؟ أتراهم يخطئون في فهم ما يرونه بأبصارهم وفي نقله؟!

كُن حتى يكون:

«عندما بلغ ابني الخمس سنوات ذهبنا للتسوق وكانت ساحة انتظار السيارات مكتظة جدًّا، فطفنا بسيارتنا لبعض الوقت باحثين عن مكان لنوقف فيه سيارتنا، ومن صفاتي أني صبور في مثل هذه المواقف، وفي النهاية لاحظت سيارة تخرج من مكانها فقمت

بتشغيل إشارتي للدخول في هذا المكان الذي سيفرغ، وإذا بسيارة تتسلل وتحتل هذا المكان وتملكني الغضب الشديد، ففتحت شباك سيارتي وصرخت بألفاظ نابية في وجه السائق، وتبادلنا نظرات تنم عن غضب، ثم واصلت بحثي عن مكان آخر لأوقف فيه سيارتي.

وبعد حوالي عشرين دقيقة، كنا داخل المركز التجاري وقد ذهب غضبي وكنا نناقش بعضنا البعض، وفجأة نظر إلي ابني متسائلًا: بالمناسبة يا أبي، ماذا تعني الكلمات التي تلفظت بها في الخارج؟

وحينها انتابني شعور وكأنني ضربت على رأسي بحجر، وياله من صدمة غير متوقعة... تملكني الارتباك الشديد وبدأت أوضح له أن هذه الألفاظ ليست بالألفاظ الجيدة»[(١)].

فهذه قصة نخرج من بين ثناياها أن تصرفاتنا مع أبنائنا موضوعة عندهم تحت المجهر، ولكن هذا الطفل تكلم وصارح أباه، فكم من المرات نكشف أمام أبناءنا بأخطائنا وتساهلنا وتفريطنا وهم

---

(١) «كيف تكون قدوة حسنة لأبنائك» سال سيفير ص[٢٣] باختصار وتصرف.

لا يتكلمون؟! فإما أن يأخذوا هذه التصرفات على أنها صحيحة لأن أبي يفعلها وإما يعرف بخطأ هذا التصرف ويبدأ في تكوين صورة ذهنية مشوهة عن الوالد ويرفض الأخذ منه لأن تصرفاته تناقض أقواله.

فكم من ملتزم ينصح ابنه بالزهد في الدنيا وهو يركض فيها ركض الوحوش في البرية؟!

وكم ملتزم ينصح ابنه بالحفاظ على الصلاة في المسجد وهو يضيعها بغير عذر؟!

وكم من ملتزمة تنصح أبناءها بعدم الكذب وهي ما كفَّ لسانها عنه؟!

أما سمعنا قول ربنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢- ٣].

وقوله أيضًا: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤].

«إن الولد مهما كان استعداده للخير عظيمًا، ومهما كانت فطرته نقية سليمة، فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة ما لم ير المربي ذروة الأخلاق وقمة القيم والمثل العليا، ومن السهل على المربي أن يلقن الولد منهجًا من مناهج التربية، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته ويقوم على توجيهه غير متحقق بهذا المنهج وغير مطبق لأصوله ومبادئه»[1].

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلّا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُقبل ماوعظت ويقتدي ... بالعلم منك وينفع التعليم

«لابد وأن تراعي الدقة في سلوكك؛ فالأطفال يكتسبون سلوكهم مما يدور حولهم عندما يعيشون مع آباء ملتزمين، فهم يصبحون أطفالًا ملتزمين وسوف يكونون آباء ملتزمين، أمام

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان (٢/ ٤٦٥).

أحفادك، فأنت ملتزم بأن تكون القدوة الحسنة، فدائمًا ما يكرر الأبناء ما تقوم به من أفعال»[1].

إصلاح الولد الأكبر:

وإلى هنا وصلنا إلى الإشارة الثانية على طريق الاقتداء ألا وهي الولد الأكبر، فالولد الأكبر كالعربة الأولى في القطار إن إعوج، إعوج من بعده.

«وينبغي ألا يغرب عن بال الوالدين أن التركيز على إصلاح ولدهما الأكبر هو من أبرز المؤثرات في إصلاح باقي الأولاد؛ لأن الولد الأصغر يحاكي عادة ما يفعله الأكبر، بل ينظر إليه أنه المثل الأعلى في كل شيء، ويقتبس الكثير والكثير من صفاته الخلقية وعاداته الاجتماعية، وهنا تكون الطامة أكبر إذا وجد الولد من يكبره نشأ في تميع وانحلال، وإذا رأى من وُلِدَ قبله يتقلب في متاهات الرذيلة والفساد، فلا شك أن الأولاد به يتأثرون، وعلى طريقه يمشون، وعنه يأخذون.

---

(١) «كيف تكون قدوة حسنة لأبنائك؟» سال سيفير ص[٢٦].

فلهذا كله وجب على الأبوين أن يركزوا جهودهم على الولد الأ:بر ثم من يليه، ليكونوا من بعدهم قدوة، وللباقين من الأولاد أسوة، والله يتولى الصالحين»[(١)].

فمن اللازم أن يأخذ الوالدين في الاعتبار هذه الإشارة، ويهتموا بتربية الولد الأول اهتمام بالغ؛ فإنه إن صلح صلحت بعده باقي الذرية، وإن فسد فلا حول ولا قوة إلا بالله، مع التحفظ أن لكل قاعدة شواذ.

المُربي القدوة:

والإشارة الثالثة على طريق القدوة هي «المربي القدوة»، نعم، إنه مربي المسجد، فكثير من أبناء الملتزمين يذهب إلى المسجد لحفظ القرآن وحضور الحلقات فيظهر دور المربي المكمل للأبوين، ولكن قبل أن نسلم أبناءنا إلى المربي يجب أن يتوافر فيه صفات يتحلى بها وسنركز على سرد الصفات المتعلقة بالقدوة والقابلة لاستقاءها من ناحية الأبناء.

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٤٧٦].

١- الجدية وعلو الهمة: فمن مقومات القدوة الحسنة علو الهمة، لذا فيجب على المربي أن يكون ذا عزيمة متوقدة وهمة لا تفتر كي يستقيها المتربي منه دسمة، فيكون من بعده نشيطًا ساعيًا بكل جد، وإلا ما الفائدة إذا رأى شيخه ومربيه يتفنن في تضييع الأوقات، ويبحث عن الكسل؟! فقل على الدنيا السلام، فيجب على المتربي أن يرى مربيه أنه لا يرضى بالدنية ولأن يكون على هامش الحياة بل لابد أن يكون في صلبها، قائدًا وليس مقودًا.

٢- حسن الخلق والدماثة: «المشتغل بالتربية إن لم يكن له نصيب طيب من الخلق الحسن، فلا حظ له في قلوب المتربين ولا مكان له بين المربين الناجحين، فالخلق الحسن من أقوى أساليب التربية المؤثرة، وحسن الخلق زينة المربي، وهو أكثر ما يربي به وأولى ما يربي عليه تلامذته، فإن لم يكن للمربي من حسن الخلق حظ وافر، فعلام يربيهم إذًا؟! ففاقد الشيء لا يعطيه، والمتصنع لحسن الخلق المتكلف به على غير الحقيقة تكشفه طول العشرة وقرب المعاشرة، وما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على قسمات وجهه وفلتات

لسانه»[١]. فالتحلي بالأخلاق الحميدة صفة أساسية يجب توافرها عند المربي خاصة أمهات الأخلاق كالحلم والصدق والوفاء بالوعود والانضباط في الأوقات إلى غير ذلك.

٣- السمت والهدي الحسن: «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزء من النبوة» ففي هذا الحديث تأكيد على أن السمت الحسن من أخلاق النبوة التي كانت بمثابة تأهيل وتربية للأفراد؛ فمن باب أولى أن يتحلى بها الداعية والمربي «فالمربي قدوة بأعماله وسلوكه قبل أن يكون موجهًا للناس بقوله، والفعل يترك أثرًا على النفس أعظم من أثر القول. فقد قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[٢] فما أحوج المربين اليوم إلى تحقيق السمت الحسن والهدي الصالح في نفوسهم» ومن اللطائف التربوية أن الإمام مالك بن أنس قال: «كانت أمي تعلمني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلَّم من أدبه قبل علمه».

(١) «منهاج المربي» محمد عادل ص[١٥٤].
(٢) «مقالات في التربية» د. محمد الدويش.

٤- الانضباط الشرعي: أوصى أحد السلف معلم ولده قائلًا: «لتكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت» لقد بين الوالد لذلك المعلم أثر القدوة على الولد، فكما قال الإمام ابن تيمية للإمام ابن القيم عندما نصحه في ترك بعض المباحات مبينًا له منافاته مع المراتب العالية، فكما قلنا أن المتربين يضعون تصرفات المربي تحت المجهر، فيجب على المربي أن ينضبط في إتباع الشرع فلا يأخذ برخص المذاهب ولا زلات العلماء، وأن يترفع عن بعض المباحات من أجل أن المربي يراه في موضع خاص في نظره دونًا عن الناس، لذا قال ابن القيم: «إن من صعد إلى درجة الورع يترك كثيرًا مما لا بأس به من المباح، اتقاء على صيانته وخوفًا عليها أن يتكدر صفوه، ويطفأ نوره» فيجب أن يكون المربي ممن قال فيهم الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

هكذا وقفت أمامنا القدوة باكية تحكي قصتها، فآن لنا أن نجبر كسرها ونكفكف دمعها، فمفعولها أشبه بالسحر وأثرها يُحفَر

في العقل كأثر النقش على الصخر، فيا أهلًا بالفعل والعمل، ويا بعدًا بالثرثرة والكلام، حقًا «إن رحلة تربية الأبناء على النحو الجيد سوف تبدأ من عندنا حين نقرر أن نربي أنفسنا، ونضغط عليها كي نربي أبناءنا، ومن غير هذه العزيمة، فإن الخسارة ستكون فادحة»[1].



(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[٣٢].

١٠- البيئة المحيطة

أخي المربي، لست وحدك من يربي، نعم، ابنك ليس سلمًا لك وإنما معك شركاء متشاكسون، فمن الأقارب والجيران إلى المدرسة والشارع، بل وقل التلفاز والإنترنت والألعاب، كل هذا له من التأثير في التربية نصيب.

وحين التأمل في واقعنا المعاصر والبيئة المحيطة، تجده لا يصلح لإعانة الآباء وترسيخ قواعد التربية الإسلامية عند الأبناء، نعم.. الكل يدفع عكسك!! وللأسف كثير من الآباء إما أن يعزل أبناءه عن الناس والأقارب والشارع، وإما أن ينزع يده ويقف موقف المتفرج على ولده وهو يستقي من هنا تارة ومن هناك تارة؛ فالبيئة المحيطة لها يد خفية ولو كرهنا، ولكن الجميع يتسائل... ما الحل؟!

ما هو الحل؟!

«إن تربية طفل واحد مسلم كتربية ألف طفل كتربية جميع الأطفال تحتاج إلى البيت المسلم والشارع المسلم والمدرسة المسلمة والمجتمع

المسلم»[1]، فهذا هو الحل، ولكن الحل غير متوافر الآن؛ فنحن الآن نعيش تناقضًا هائلًا بين المؤسسات التربوية وبين المربي «الأصل أن يتربى الإنسان تربية متكاملة، وأن تكون المؤسسات التربوية تؤدي دورًا متكاملًا؛ فالمدرسة والشارع والرفقة كلهم يسيرون في اتجاه غير متناقض، لكن واقعنا يعيش تناقضًا هائلًا بين المؤسسات التربوية وهذا يفرض على المربي تحديًا أكبر وجهدًا أعظم وسيبقى الجهد مهما بذلنا من الوسائل جهدًا محفوفًا بالمخاطر»[2]، فلو أن ألف رجل يبنون بناءً ووراءهم هادم واحد ما كان لهذا البناء أن تقوم له قائمة، فما بالك بالذي يبني وحده ووراءه ألف هادم؟!! ولكي لا نقف منزوعي الأيدي أمام الواقع الذي يفرض علينا نفسه يجب وضع حل لهذه المشكلة، وسنتكلم عنه وسنطرحه في ثلاث محاور:

١- الحماية الداخلية «التربية الإيمانية».

٢- الرقابة.

٣- استبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى.

---

(١) «منهج التربية الإسلامية» محمد قطب ص[٣٢٥].

(٢) «البيئة السيئة والشباب» محمد الدويش، موقع المربي.

١- الحماية الداخلية:

«واقعنا يعيش تناقضًا هائلًا بين المؤسسات التربوية وهذا يفرض على المربي تحديًا أكبر وجهدًا أعظم، وسيبقى الجهد مهما بذلنا من الوسائل جهدًا محفوفًا بالمخاطر... ومن أهم ما ينبغي مراعاته في ذلك؛ التركيز على البناء الداخلي والحصانة الداخلية التي تتمثل في الاعتناء بالتربية الإيمانية وتقوية الإرادة والجسم»[(١)].

فلابد من تقوية المناعة والحماية الإيمانية للأبناء، فهي تعين على ضبط النفس والسيطرة عليها، ومن الوسائل التي تعين على تقوية الحماية الداخلية[(٢)]:

١- يجب أن تكون مبكرة كما ذكرنا في أول البحث، ويجب أن تكون مستمرة خلال المعايشة وبطريقة لطيفة لا تعتمد على إلقاء المواضيع وفقط.

(١) «البيئة السيئة والشباب» عمر الدويش، موقع المربي.

(٢) «التربية في ظل المتغيرات» عمر الدويش، موقع المربي باختصار وتصرف.

٢- زرع العقيدة في قلب الولد وتثبيتها جيدًا عن طريق استشعار عظمة الله في قلبه من خلال التفكر في أسماء الله، ولو أدركت نفوسنا عظمة الله لعظم الافتقار إليه ولزادت الخشية منه، أيضًا زرع أحاديث النبي كحديث «اتق الله حيثما كنت...»، وأيضًا قصص الصحابة والدروس المستفادة منها كقصة كعب بن مالك.

٣- الاعتناء بالاقتناع: فالتوجيهات التربوية التي يتلقاها المتربون في مجتمعاتنا تعتمد على التوجيه المباشر وتعتمد على تلقين النتائج والأحكام، وهذا لو نجح مع جيل لا يتعامل إلا مع من يربيه فإنه لن ينجح مع جيل لا يعد المربي فيه على أحسن أحواله إلا واحدًا من العوامل المؤثرة على المربي، وهذا يتطلب مراجعة شاملة لمحتوى المواد التربوية ولأساليب تقديمها.

٤- تعريفه بواقع الإسلام وغربة أهله في وسط واقعنا المعاصر، فالمجتمع ينظر إلى الملتزم نظرة اتهام ورجعية؛ فتجد الابن إلا من رحم الله يحاول أن يتبرأ من تفكير أبيه، فقد رأيت من أبناء الملتزمين من ينفي التزام والده، ومنهم من يتهرب من السؤال...!!، فلابد أن يتعلم الأبناء الاستعلاء بالإيمان، وأن هذا الاستضعاف لا

يدوم كائنًا ما كان، وإعلامه بوعد الله في القرآن أن التمكين لعباد الله الصالحين، أيضًا إعلامه بحديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يكون أحدكم إمعة...**» فهذا ينشئ عنده استقلالية ويجعله قائدًا لا مقودًا.

هذا ما كان في إيجاز توضيحًا عمليًا للتربية الإيمانية التي مثلّناها بالحماية الداخلية للأبناء، فالعقيدة هي الحل وإلا «كم سيكون من الصعب حمل ظمآن شديد الظمأ على عدم الشرب من ماء بارد أمامه! وكم ينبغي أن يكون ما سنعرضه عليه كبيرًا حتى يستجيب إلينا»[1] إذًا لا مفر من ربط القلب والعقل بالاعتقاد، فما أسهل المعاصي في هذا الزمن!!

٢- الرقابة:

وهذه الوقفة الثانية في العلاج، وهي تحتاج مجهودًا كبيرًا من الآباء تجاه الأبناء في التوجيه والمتابعة والمراقبة؛ خصوصًا في عصرنا هذا الذي يموج بالفتن والمغريات وسهولة ارتكاب المعاصي وما يصاحبه أيضًا من اقتلاع للثوابت وإحلال للقيم.

---

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[٢٢].

فكما قلنا من قبل أنك لست وحدك من يربي ولدك، فمعك من الشركاء الكثير ودعنا نبدأ بأول شريك ألا وهي:

التقنية: نعيش اليوم في سباق مع الزمن فما إن يظهر اختراع حتى يظهر في ذيله اختراعًا آخر، والتقنية أصبحت سلاحاذا حدين، وفي مجتمعاتنا؟؟؟ الشر له أوفى النصيب، فبضغطة زر واحدة يجد الطفل نفسه في قلب العالم!! «فوسائل الاتصال بأدواتها الجبارة، كل ذلك ألغى الحدود بين ما كنا نسميه داخل البلاد وخارجها...

العولمة تعولم الأشياء وتعولم الأفكار والتطلعات والأذواق والمعايير، وتعولم أيضًا المشكلات، وأنماط الانحطاط.

كنا في الماضي نربى في بيئات مغلقة نسبيًا، لكننا اليوم نربى وأبواب بيوتنا ونوافذها مشرعة على العالم من أقصاه إلى أقصاه، ولهذا بالطبع حسناته وسيئاته، ولكن إذا لم ننتبه، ونفهم ما يجري على نحو جيد، فقط تطغى السيئات على الحسنات»[١].

(١) «القواعد العشر» عبد الكريم بكار ص[١٧].

فمن هذا المنطلق وجب على الوالدين تعلم ما هو جديد من أمور التقنية، وأعلم أن هذا أمر صعب ولكن انحراف الأبناء أمرًا أكثر صعوبة.

الكمبيوتر والنت: التأكد من وضع الجهاز في مكان يسهل مراقبته.

محو الأمية التكنولوجية بتعلم استخدام الكمبيوتر والنت؛ وذلك لكي تسهل مراقبة الأبناء ولسد مدخل الشيطان بجهل الوالدين.

العلم بمحتوى المادة الموجودة سواء كانت في أفلام الكارتون أو في الألعاب أو في المواقع، ومساعدة الأبناء في توفير الألعاب والمواقع التي تناسب احتياجاتهم.

عدم التساهل في انشغال الأبناء بالكمبيوتر لفترة طويلة، ووضع حد أقصى للجلوس أمامه.

المحمول: عدم شراء محمول للابن إلا للضرورة.

أن يكون غير مزود بتقنية تفتح عليه أبواب الشر.

مراجعة الأسماء والرسائل والسؤال عن أي رقم مسجل برمز مبهم، ومراعاة عدم غلق المحمول بكلمة سر.

ولكم أفسد أب قلب ابنه الطاهر بسبب شراء المحمول، ولكم سمعت عن علاقات عاطفية بين أبناء وبنات تقشعر لها الأبدان، وكم علمت عن أبناء في المرحلة الابتدائية والإعدادية مدمنين للأفلام الجنسية، كل هذا بسبب التساهل وعدم الرقابة تحت شعار الثقة، مع مراعاة تفتيش هذه الأجهزة من وراء الابن لكي لا نفقده الثقة فلا ننسى أن هدفنا التربية وليس التعرية.

الأصدقاء: بلا شك أن لأصدقاء الأبناء نصيب في التأثير على الأبناء من حيث قراراتهم، طباعهم، ألفاظهم وذلك في جميع مراحل عمره، وتظهر هذه التأثيرات بشدة من سن ١١ إلى ١٣ وهي بداية علامات المراهقة ومحاولة الاستقلال، ينتهي هذا التأثير عند بلوغ العشرين عندما تتجه اختيارات الابن لمحكات الحياة الأساسية وتنقلب الكفة مرة أخرى لصالح الوالدين والأسرة في اتخاذ القرارات والرجوع إليهم.

ولكي نعبر هذه القنطرة المليئة بالكلاليب والخطاطيف التي تحوم حول أبناءنا وإنقاذهم منها يجب أن نضع إشارات للرقابة في هذه النقطة:

- يجب تقوية العلاقة بين الأسرة وبين الابن، فالعلاقة القوية بين الطفل وأفراد أسرته يمكنها الحد من التأثير السلبي.

- معرفة أصدقائهم ومحاولة التكلم معهم وعدم التسرع بالحكم عليهم ظاهريًا.

- التحذير من السلوكيات المرفوضة بشكل إقناعي فقد أثبتت الدراسات أن الأطفال الذين تحدث معهم المعلمون أو الآباء حول التدخين وأضراره بشكل متكرر من سن التاسعة كان موقفهم من التدخين أكثر رفضًا وكانوا أكثر مقاومة لأصدقاء السوء.

- كن أنت النبع الذي يستقي منه المعلومات وبالأخص المعلومات الجنسية والمتعلقة بالبلوغ ولا تخجل من ذلك.

- العمل على عقد تجمعات للأصدقاء في البيت إن أمكن؛ فهذا يثري التعارف بين الأب وأصدقاء الابن ويقلل من جنوح الأولاد للخطر.

- إياك أن تشعر الولد أنك متسلطًا؛ فالآباء المتسلطون الذين يحاولون التحكم بكل حركة يقوم بها الأبناء، عادة ما يرغب أبناؤهم في التمرد.

- إشغاله بأعمال منزلية أو لعبة رياضية، وتوفير جو ممتع يغني عن التسكع في الطرقات.

الأقارب: وفي هذا العنصر يمكن أن نشير إلى أن الأقارب من خال أو عم أو جد أو جدة أو ما شابه ذلك من القرابات لهم تأثير في سلوكيات وقناعات الطفل؛ فعندما يزور الابن الخال أو العم في بعض الأحيان يكون وضع الزيارة غير محكوم بالضوابط الشرعية مما يجعله يتأثر بهذا الوضع، وأيضًا عندما يبيت عند جدته ويقلب في التلفاز كيفما يشاء دون رقابة أو متابعة، ويا لفرح الشيطان وذكائه في استغلال هذه المواقف في تأجيج نار التمرد عند الابن!!

فيجب على الوالدين إحكام الزيارات والمبيت عند الأقارب حتى وإن وصل الأمر إلى عدم اصطحاب الأبناء.

٣- استبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى:

إنه استبدال بيئة المسجد ومربي المسجد وتأثيره بالذي هو أدنى من تأثير وسائل الإعلام والأصدقاء... إلخ.

تلك البيئة النظيفة الطاهرة التي هي بمثابة الحماية والبديل عن التأثيرات الخارجية، والتي يجد فيها الابن القدوة عن طريق المربي الذي يزرع فيه الخير ويكون له كحادي الطريق ويجد الرفقة الصالحة والمنهج القويم الذي يستطيع أن يقاوم بكل هذه الأسلحة تيار الفساد الفكري والعقائدي والثقافي.

ولكن ثمة أشياء في بيئة المسجد صارت عوائق أمام أبناء الملتزمين في اللحوق بتلك البيئة منها:

(أ) التقليدية: فالأمر في بداية الصحوة كان ينحصر على دراسة العلم الشرعي والتحلق في الجلسات وفقط، وهذا من المؤكد أنه أتى بثماره اليانعة ولكن صلح هذا الأسلوب مع باكورة الصحوة،

أما في هذا الوقت الذي اشتدت فيه ريح الفتن والهجوم على الإسلام وانفتح العالم على بعضه هل نعتقد أن هذا الوضع التقليدي سيظل يثمر؟!

فلابد إذًا من تغيير أدوات وأساليب العمل التربوي بشكل يستوعب الواقع الذي تغير بشكل يرغب أبناء الإسلام في تعلم دينهم والبذل له.

«أعتقد أن ما يُنتظر من العمل الإسلامي من حيث العمل التربوي أوسع بكثير جدًا من هذه البدائل المحدودة جدًا، فعلى نطاق العمل الإسلامي ينبغي أن تنفتح أدوات العمل التربوي وتتجاوز الأطر المحدودة، وتستوعب الواقع الذي تغير، وبخاصة أن الأدوات التي تنشأ في ظل عصر له خصوصية وله طبيعة لا يمكن أن تستمر كثوابت»[(١)].

فهذه مهمة الدعاة والمربين في المساجد أن يبتكروا وأن يدركوا التطور والانفتاح الذي نعيش فيه الآن، مع مراعاة ضبط

(١) «موقع المربي» حوار الشيخ محمد الدويش مع موقع المسلم.

الأمور بالشرع فلا يتم ابتكار طريقة لجذب الشباب مخالفة للشرع ولنتذكر قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

(ب) إهمال التربية الفردية «الدعوة الفردية»: من العيوب المطروحة الآن في آليات العمل في الصحوة هي إهمال التربية الفردية، فقد يعتمد البعض على سماع بعض النصائح في حلقة في المسجد أو حفظ بعض السور ولكن مع أهمية هذا كله يتم إهمال أكبر عنصر ألا وهو التربية الفردية؛ تلك المهمة التي يقوم بها مربي المسجد مع من يتولاهم وتنحصر مهامه في[١]:

١- القرب من المتربي بروح المودة والإخاء والإحاطة بأموره أولًا بأول.

٢- الاجتهاد في بنائه والارتقاء به.

٣- توجيهه وإعانته في حل مشكلاته الخاصة والدعوية.

(١) «دور المربي في الدعوة الفردية» الشيخ هشام عقدة ص[٥] بتصرف يسير.

٤- تقويمه من فترة لأخرى ومراقبة تطوره وتأثره وفقًا لما يبذل معه، مع مراجعة مدى تحقيق الجوانب الدالة على انتظام السير وسلامة البناء.

٥- محاسبته ومناقشته للوقوف على مدى قيامه بما يتطلب منه أو يوجه إليه مع مجازاته تبعًا لنشاطه أو تقصيره».

فالتربية أصل ضخم وأساس متين لا يتم بدونه تغيير، ولا تنجح بدونه دعوة، مع مراعاة عدم الانتقاص من الخطاب الجماعي أو الدروس العامة؛ فهي أيضًا من آليات الدعوة الهامة.

ما نعنيه أن هناك فرق بين التربية والتعليم.

«التعليم دروس ومحاضرات، أما التربية فلابد لها من أهداف، وهذه الأهداف لابد أن تكون مرتبطة بالمنهج، فعملية التربية عملية مقصودة، يعني أنك تريد أن تصل من خلالها إلى شيء... فعلى سبيل المثال كفرق بين المحاضر أو المدرس والمربي، أن المحاضر يهمه أن تكون محاضرته قوية، وبعد أن يلقيها ليس من شأنه معرفة أثرها

على فلان وفلان ومدى استجابته، وما يحتاجه بعد ذلك بخلاف المربي، هو معني بالأفراد المستمعين بأعيانهم، كيف تأثر فلان، ولِمَ لم يستجب فلان، وما المناسب فعله معه بعد ذلك؟»[(١)].



(١) «رسالة إلى إمام المسجد» الشيخ هشام عقدة ص[١٥٢].

١١- بل تؤثرون الحياة الدنيا

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾.

[الأعلى:١٦-١٧]

قال السعدي: «تقدمونها على الآخرة وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة، والآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود ولا يبيع لذة ساعة بترحة الأبد»[(١)].

فللأسف ظهرت اليوم ظاهرة الوهن بين صفوف الملتزمين، ورأينا مظاهر حب الدنيا تندس إلى أسلوب حياتنا، حتى ظهر هذا الإيثار الزائل على تربية الأبناء؛ فرأينا من يخاف على ابنه من الاستقامة على شرع الله خشية الأذى المادي أو المعنوي، وآخر يؤثر شهادة فانية أو وظيفة يحتفظ بها لولده ويضحي بما هو نفيس، وهاهي أخرى لا

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص[٩٢١].

توقظ ابنها لصلاة الفجر من أجل أن يذاكر، وهذا يشترك لأولاده في نادي به ما به من الفساد بحجة عدم حرمانهم وعدم البخل عليهم. فللأسف صارت قضية الدين عند بعض الملتزمين على الهامش، وسيطر حب الدنيا على القلوب حتى علاها.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فقد أوضحت لنا الآية أن الله لم يخلق هذا الخلق هملًا ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لأمر عظيم وهو عبادته سبحانه وحمل أمانة التوحيد وتبليغها التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان وكان ظلومًا جهولًا إذا ضيعها.

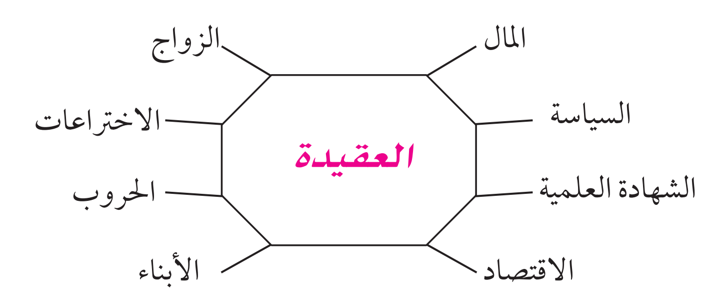
أما والله لو علم الأنام لما خلقوا لما هجعوا وناموا

ولكن قد يتبادر إلى الذهن أننا بذلك ندعو إلى العكوف في المساجد وترك الدنيا والتفرغ للعبادة ليس إلا، وهو مفهوم خاطئ وقاصر؛ فقد أمرنا الله بإعمار الأرض واستخلف بني آدم فيها ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]،

وكذلك أوصانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها**».

إذًا فالإسلام يدعو إلى تعمير الأرض وامتلاك أسباب القوة في هذه الدنيا، ولكن ضبطها بضابط فقد قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢] أي أن امتلاك أسباب القوة ومقومات الحضارة هو عبارة شرطية أن تكون ابتغاء مرضاة الله، ومن باب أولى أن تكون كلمة الله هي العليا في منهجية التربية للأبناء، فليس هناك طريق يسمى بالآخرة وطريق يسمى بالدنيا فكلاهما طريق واحد، ولكن حين نخفق في فهم قضية الاستخلاف في الأرض فإننا نحتذي حذو بني إسرائيل الذين فشلوا في اختبارات الدنيا إلا من رحم الله منهم.

إذًا فقضية الإنسان المسلم في الحياة هي العقيدة، وغاية خلقه هي العبادة، ومقومات الدنيا ما هي إلا عوامل مساعدة تخدم قضية التوحيد؛ فلا أهلًا ولا سهلًا بمن ينحي العقيدة بلسان حاله عن الدين، أو يعلي من شأن مقومات الدنيا الفانية على العقيدة الباقية.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨].

فهذا عتاب من الله إلى الذين كلما طلبهم دينهم لكي يضحوا من أجله رضوا بالحياة الدنيا وتكاسلوا ومالوا إلى لدعة والسكون، «فما متاع الحياة الدنيا التي مالت بكم وقدمتموها على الآخرة إلا قليل، أفليس قد جعل الله لكم عقولًا تزنون بها الأمور، وأيها أحق بالإيثار؟! أفليست الدنيا من أولها إلى آخرها لا نسبة لها في الآخرة.. فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه ولا من جزل رأيه ولا من عُدَّ من أولي الألباب»[(١)].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص[٣٣٧] باختصار.

لا شك أن حب الأولاد من الأشياء التي فطر الله الناس عليها، وقد قال: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

ولكن الناس قسمان؛ قسم جعل الدنيا هي المقصد والهدف فانشغلت خواطرهم وجوارحهم بها، وقسم عرفوا المقصود منها، وأن الله جعلها امتحانًا لعباده وعرفوا أنها وسيلة وليست هدفًا.

فحينما يتم تقديم الدنيا في تربية الأبناء على الآخرة بأي شكل من الأشكال فللأسف نقدم حرث الدنيا على حرث الآخرة، ونؤثر الصفيح الفاني على الذهب الباقي، ونخالف قانون السلم القيمي وهو «حين تتزاحم قيمتان وهذا يحل في كل يوم مرات عديدة، فإنه تتم التضحية بالقيمة الأقل شأنًا من أجل الحفاظ على القيمة الأعظم شأنًا، إن نجاح الأبناء قيمة، وهو أحيانًا يتطلب السهر من أجل النجاح إلى ما بعد منتصف الليل كما هو الحال في ليالي الاختبارات وصلاة الفجر في موعدها قيمة أعظم، ولهذا فإن أي سهر من

أجل النجاح ينبغي أن يتم في إطار التمكن من أداء صلاة الفجر في وقتها... السفر لطلب العلم قيمة عظيمة ولكن الاستقامة على أمر الله قيمة أعظم؛ فإذا غلب الظن أن سفر أحد الأولاد للدراسة سيؤثر في تدينه فإننا نتوقف عن إرساله وهكذا...»[(١)].

الخنساء أرادت حرث الآخرة:

في يوم نادى المنادي أن هبي جيوش الإسلام للدفاع عن الدين والعقيدة ونشر الإسلام في موقعة القادسية، فجمعت أولادها الأربعة وقالت لهم: «يا بني إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠] فإذا أصبحتم غدًا إن

---

(١) «القواعد العشر» أ. عبد الكريم بكار ص[٢١].

شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيت الحرب قد شمرت عن ساقها واضطرمت لظى على سياقها وحللت نارًا على أوراقها فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في داخل الخلد والمقامة». فلما وصل إليها نبأ استشهادهم جميعًا قالت: الحمد الله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

هكذا كانت النساء اللاتي أرادن حرث الآخرة، وتغلبت على شهواتها وحب الدنيا من أجل الله، علموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد، وعلموا أن الله عنده حسن المآب شتان بينها وبين من تمنع ابنها من صلاة الفجر في المسجد لخوفها عليه، أو بمن كان فرحها بالشهادة العلمية أكبر بكثير من فرحها باستقامة ولدها!!

﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

فذكر الله أمرين:

الأول- أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك؛ لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يدال مرة ويدال عليه أخرى».

الثاني- أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية، وآمال رفيعة، من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين وقمع أعداء الدين فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الدنيوي إن ناله ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية والفوز برضوان الله وجنته»[1].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص[١٩٩].

لم تنصر دعوة من الدعوات حتى وإن قامت على باطل إلا على الدماء والبذل والجهد، ولكن أعجب كل العجب في جلد أهل الباطل في نشر باطلهم وتضحياتهم الكبيرة لمبادئهم، وعجز من معه الحق فصدق عمر حين قال: «اللهم إني أعوذ بك من جلَد الفاجر وعجز الثقة»، الأمر يكمن في أن الإنسان الملتزم صاحب رسالة وصاحب عقيدة لا يليق به أبدًا أن يركن إلى الدنيا ويطمئن إليها حتى في تربيته لأولاده، يجب أن يؤصل عندهم هذا المعنى. ويجب أن يكون الله عنده أولًا وعقيدته فوق كل شيء وحمل هم دينه في سويداء قلبه لا يفارق ذهنه، لا يكتفي بالحوقلة ولا بالاسترجاع إذا أصاب الدعوة ما أصابها.

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

[الأنفال: ٦٧]

فهذه وصية لكل ملتزم بأن يتقى الله في ولده، فكم من شاب اشتكى حرمانه من لذة الاعتكاف في المسجد، وآخر يشتكي حرمانه من صلاة الفجر بحجة خوف الأهل عليهم، فلو خافوا عليهم حقًا لحرصوا على هداية أولادهم ولقدموا حرث الآخرة على حرث

الدنيا، ولنضع حديث رسول الله نصب أعيننا: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له».

حين أدرك غير المسلمين الحقيقة:

أوضح جان جاك روسو في كتابه «تربية الطفل من المهد إلى الرشد» فقال: «إن المرء ينبغي أن يصون طفله، وهذا لا يكفي، بل ينبغي أن نعلمه كيف يصون نفسه حين يضحى رجلًا، وكيف يحتمل ضربات القدر وكيف يواجه البؤس والنعيم، وكيف يعيش إن اقتضى الأمر في الزمهرير والقيظ... فما من الموت مفر إن واجبك أن تعلمه كيف يعيش لا كيف يتحاشى الموت، والحياة ليست نفسًا يتردد بل هي نشاط واستخدام للجوارح والوظائف الحيوية من سائر عناصر كياننا، وليس أعظم الناس نصيبًا من الحياة من سلخ فيها سنوات أطول، بل من مارسها أكثر من سواه.

وبهذا قد انتهينا بفضل الله ومنه من إحصاء ما كان سببًا في ظهور مشكلة انحراف أبناء الملتزمين مقدمين العلاج والحلول.

ولكن بقيت لنا إشارات على الطريق لا يكتمل العلاج إلا بها:

١- ولا ينبئك مثل خبير «بين النظرية والتطبيق»:

روى المفكر الفرنسي جان جاك روسو في كتابه الطفولة من المهد إلى الرشد: «كانت عندي ست نظريات للتربية ولم يكن عندي أبناء، والآن عندي ستة أبناء وليست عندي نظرية واحدة لتربيتهم!!».

والقصة برغم غرابتها تفيد أن المعرفة النظرية بالتربية لا تكفي وحدها، ولكن لابد من الممارسة العملية والخبرة الشخصية والتجربة والخطأ، فبعض الآباء يرمون نظريات التربية بالفشل وأن التربويين يتكلمون من أبراجٍ عاجية، ولكن ما رأيته ولاحظته هو قصر نفس الوالدين في عملية التربية أو التنفيذ بطريقة خاطئة معلقين فشلهم على هذا الادعاء الباطل!!

«إن التربية عملية تطوير مستمرة، وليست بالعمل الذي يُعتمد فيه على ما علق في ذاكرتنا من تربية والدينا لنا، أو بما يرشدنا إليه الأصدقاء والأقرباء، بل تستلزم منا الشعور العميق بالمسئولية وثقلها، وبضرورة الإعداد والتدريب لها، وحفظ الكثير من القواعد التربوية وتطبيقها والتسلح بمهارات التربية الصحيحة، نعم هي مهارات ليست باليسيرة، تستلزم تعديل سلوكيات الوالدين والمربين والمعلمين أنفسهم، وتطوير أدائهم التربوي»(١).

إذًا المطلوب:

١- التنفيذ: إما سيكون وقتًا ممتعًا قضيناه في تجميع معلومات.

٢- الصبر: وتذكر دائمًا أن الصبر هو مفتاح التربية.

«التربية كالحرب تحتاج إلى الرجل المكيث، وعلاقة المربي مع من يربيه تشبه حالة النزال بين المتعاركين، واستعجال الثمرات يضر ولا ينفع»(٢).

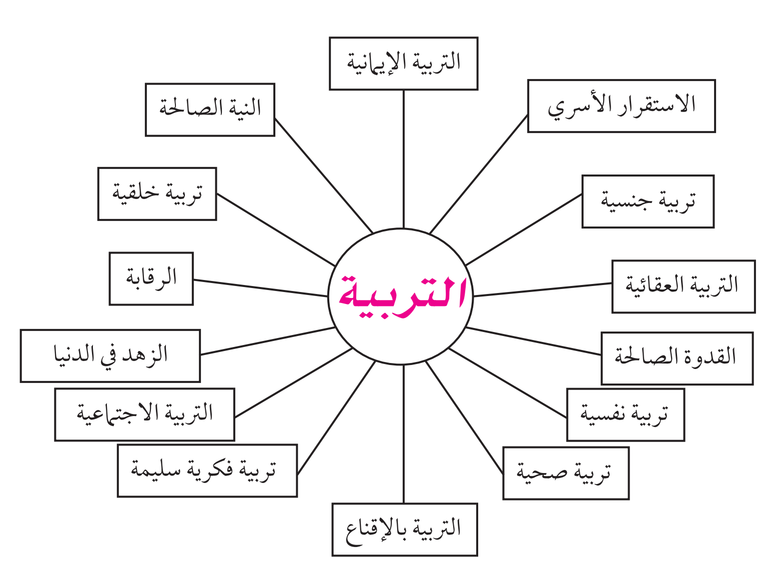
---

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل» هداية الله أحمد شاش ص[٤١٩].

(٢) «دليل التربية الأسرية» أ. عبد الكريم بكار ص[١٩].

٢- تكامل جوانب التربية:

ما فائدة أن شخص استحضر النية الصالحة في الإنجاب ثم بعد ذلك أهمل الجانب النفسي في التربية؟! أو أنه اهتم بالتربية الإيمانية وكان فظًا غليظًا في تعامله؟! فلا يصلح الاهتمام بجانب تربوي مع إهمال جانب آخر وإلا سيكون البناء مختلًا، يجب أن يستقي الابن من كلبناينابيع التربية؛ فالتربية الإيمانية إلى جانب التربية النفسية إلى جانب القدوة الصالحة إلى آخر هذه الجوانب.



يقول الدكتور عبد الله ناصح علوان موضحًا قاعدة الربط:

«من المؤكد يقينًا أن الولد إذا ارتبط وهو في سن الوعي والتمييز بروابط اعتقادية ورابط روحية، وروابط فكرية، وروابط تاريخية، وروابط اجتماعية، وروابط رياضية... إلى أن تدرج يافعًا، إلى أن ترعرع شابًا، إلى أن أصبح رجلًا، إلى أن انحدر كهلًا... فإن الولد ولا شك يصبح عنده من مناعة الإيمان وبرد اليقين وحصانة التقوى... ما يجعله أن يستعلي على الجاهلية، ويهزأ بها بكل تصوراتها واعتقاداتها ومبادئها وأضاليلها، بل يكون ثورة شعواء على كل من يقف من نظام الإسلام موقفًا معاديًا كما وينال من مبادئه الخالدة نيلًا حاقدًا»[١].

٣- التربية الجنسية:

حين يعتقد الطفل بأن نوم أمه إلى جانب أبيه كاف لإنجاب الأبناء، أو حين يعتقد بأن القبلة هي السبب وراء الإنجاب، أو حين يصل من أي مكان في الجسد تولد الأطفال، يتحول الأمر عند الأبناء

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» ص[٥٨٦].

إلى لغز لا يجد له حلًا. فيبدأ الابن باستقاء المعلومات من مصادر مغلوطة وغير مسئولة، فمن الأصحاب تارة ومن الكتب تارة حتى يصل إلى حل اللغز ولكن للأسف لا يصل سالمًا، فالمعلومات التي استقبلها منها السليمة ومنها المتردية والنطيحة.

إن مسألة التربية الجنسية صارت مهملة وللأسف عند كثير من الآباء والأمهات، وهو ما يحتم علينا الانتباه لتثقيف أبناءنا من هذه الناحية، فـ«المقصود بالتربية الجنسية تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس، وترتبط بالغريزة، وتتصل بالزواج...»[1].

فالأبوان هما من يحتمل المسئولية أولًا وأخيرًا في هذه الأمور، والله إن القلب ليحزن عندما يرى أبًا تاركًا ولده حائرًا يستقي من هنا تارة ومن هناك تارة، كم قابلت من الشباب لا يعلمون شيئًا عن الاستحداد وقد وجب عليه منذ سنين، وآخر عندما احتلم أراد الذهاب للطبيب!! وثالث لا يعلم معنى الجنابة ولا كيفية التطهر

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٣٧٣].

منها، بل ورابع اتصل بي مصدومًا حين علم من صديقه عن كيفية الاتصال الجنسي الذي به يكون الولد.. هذا غيض من فيض وقليل من كثير.

«إن عدم توعية الولد لنموه الجسدي وتطوره وخاصة عندما يصل لمرحلة البلوغ قد يجعله فريسة للمعلومات الخاطئة المشوشة التي قد يسمعها من الآخرين أو الخرافات والأوهام، وقد يعرضه أيضًا لاستغلال من يتعرض له بالأذى أو الاعتداء... لم يعد هناك أي مكان في وقتنا الحاضر للتحفظ على نقل المفاهيم الجنسية الصحيحة لأولادنا؛ لأننا إذا لم نقم بذلك، فهناك أسئلة ملحة في عقولهم يجب أن يجاب عليها وهناك مساحات واسعة في نفوسهم يجب أن يملأ فضولها»[1].

إن الواقع يفرض علينا تحديًا صعبًا، ففي ظل التقدم التكنولوجي الذي نعيشه يستطيع الأبناء بضغطة زر واحدة أن يكونوا في وسط العالم بكل سهولة ويسر، أيضًا ما نعانيه من سهولة وانتشار الإباحية

(١) «ألف باء الحب والجنس» د. ليلى الأحدب ص(١٩٥، ١٩٧) بتصرف.

في وسائل الإعلام حتى صارت على أجهزة المحمول، يجب علينا أن نراجع أنفسنا ونبدأ في تحمل مسؤولية التوعية الجنسية للأبناء، لكي لا يتم الاستقاء من الخارج بالمعلومات الخاطئة، ولكي نسد بابًا ينتظره الشيطان ليدخل منه، ولكي نكمل دورنا كآباء وأمهات ونرعى من سيسألنا الله عنهم.

وهذه بعض الوصايا(١):

١- تعويد الولد أصول الاستئذان على الأهل كما بينها الله في سورة النور ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور:٥٨-٥٩].

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام» عبد الله ناصح علوان ص[٣٧٣] باختصار وتصرف.

٢- من القضايا الهامة التي يجب أن يركز المربي عليها، ويهتم بها أن يعود في سن تمييزه آداب النظر حتى يعلم ما يحل من النظر إليه وما يحرم، وفي ذلك صلاح أمره، واستقامة أخلاقه إذا شارف البلوغ وبلغ سن التكليف، إضافة لما يتعلق بالنظر إلى العورة.

٣- من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين؛ تعليم الولد منذ أن يميز الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي، ونضجه الجنسي، والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعًا، فهذا يوجب معرفتهم بالاحتلام وكيفية التطهر من الجنابة، والفرق بين المني والمذي والودي، إضافة إلى سنن الفطرة المتعلقة بهذا الأمر كالاستحداد وحلق الإبط وإعطاءه الحكم الشرعي لها، وكذلك الفتاة يجب أن تُصَارح إذا ذكرت احتلامًا بهذه الأمور إضافة إلى المصارحة بدم الحيض وكيفية التطهر وأحكامه الفقهية، ويراعى في ذلك:

(أ) المصارحة بهذه المعلومات قبل حدوثها، وهذه مهمة الوالدين لكي لا يفزع الأبناء حين تحدث هذه التغيرات؛ فكم من

فتاة حسبت أن الحيض نزيف؟! وكم من ولد حسب أن نزول المني منه حين استيقظ من نومه مرضًا؟! أدرك أن هذه المهمة صعبة ولكن كم من شاب وفتاة بات ضحية الحيرة والخوف؟!

(ب) إدراج النصوص الشرعية في إيصال هذه المعلومات لكي تصل إلى ذهن الأبناء أن هذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأن الإسلام ما ترك شاردة ولا واردة إلا وأشار إليها، وأنه لا حياء في العلم.

٤- المصارحة بأمور الاتصال الجنسي وهي من المحطات الصعبة والمعقدة في التربية عمومًا وليس التربية الجنسية وحسب؛ فأسئلة الأبناء في هذه النقطة محرجة للغاية، وللأسف يتم التعامل معها بالتهرب وأحيانًا بإجابات غير صحيحة، والذي يبدو من الأدلة الشرعية التي سنعرضها أنه يجوز للمربي أن يصارح ابنه أو ابنته في القضايا التي تتعلق بالجنس وترتبط بالغريزة، وإليكم هذه الأدلة:

- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:٥-٧].

- ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ ﴾ [البقرة:١٨٧].

- ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾ [البقرة:٢٢٣].

- ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٣].

- ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًا ﴾ [الأحقاف: ١٥].

- ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾.

[الإسراء:٣٢]

فكيف يفهم الولد وهو في سن التمييز والتعقل تفسير هذه الآيات وأمثالها إذا لم تتضح لديه من قِبَل معلمه أو مربيه حقائقها وما يراد منها؟

ولا يمكن أن يقول متبصر عاقل: إن على المعلم أو المربي أن يطمس معاني هذه الآيات بتفسيرات أخرى لا تمت إلى المعنى المراد بصلة، أو أن يمر عليها مرور الكرام دون توضيح لها، أو تفسير لمضمونها؛ لأن هذا المسلك غير سليم ويتنافى مع قواعد التربية الإسلامية الأصيلة، ويتناقض مع دعوة القرآن الكريم إلى فهمه وتدبره.

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

فعندما يسأل الابن عن العلاقة بين الجنسين فيجب إجابته بما يناسب سنه وعقله دون الكذب عليه، أو أجوبة خاطئة لا تزيد الأمر إلا تعقيدًا، فمن الممكن تقريب الأمر له عن طريق شرح طريقة التلقيح في النبات، وأنه لا ثمرة بغير تلقيح كما أنه لا حمل إلا بهذا الاتصال الجنسي، ووضع الأب بذره تجعل الطفل ينمو في بطن الأم، وهكذا حتى تكمل عنده الصورة، كما أن المصارحة في هذا الأمر تختلف من سن لآخر، بل ويجب التوعية ضد الانحرافات

الجنسية وأضرارها وأحكامها، فإن هذا يعد من أعظم الوسائل الإيجابية للبعد عن هذه الانحرافات.

ويجب على الأبوين عند التحدث في هذا الأمر إدراج النصوص الشرعية أن يوصلا الإبن أن هذه الفطرة التي فطر الناس عليها أيضًا «حاول أن تكون إجاباتك بسيطة ومباشرة وصحيحة من غير أن تعقده بتفصيلات علمية فوق فهمه وطاقته، وحاول أن لا تعطيه انطباعًا أن الأمور الجنسية أمر معيب بالضرورة، أو تعطيه الانطباع أنك لا تسمح له بالحديث في مثل هذه المواضيع، وحاول أيضًا من طرفك أن تتكلم معه بالطبيعة التي تتكلم معه فيها في قضايا الحياة الأخرى»[1].

٥- وهناك خطأ يرتكب ألا وهو الاعتقاد بأن التربية الجنسية هي معلومات تعطى مرة واحدة، دفعة واحدة وينتهي الأمر، وذلك إنما يشير إلى رغبة الوالدين أو المربي في الانتهاء من واجبه المزعج بأسرع وقت، لكن يجب إعطاء المعلومات على دفعات بأشكال

(١) «ألف باء الحب والجنس» د. ليلى الأحدب ص[٢٢٨].

متعددة مثلًا عن طريق كتاب، أو درس في المسجد، كي تترسخ في ذهنه تدريجيًا ويتم استيعابها وإدراكها بما يواكب نمو عقله»[(١)].

وفي نهاية المطاف كان هذا مجرد استعراض بسيط لعنصر تربوي بالغ الأهمية علنا نلتفت له ونسعى في التطبيق لا أن نتركه حبيس الكتب، و«لم يعد هناك أي مكان في وقتنا الحاضر للتحفظ على نقل المفاهيم الجنسية الصحيحة لأولادنا لأننا إذا لم نقم بذلك، فهناك أسئلة ملحة في عقولهم يجب أن يجاب عليها، وهناك مساحات واسعة في نفوسهم يجب أن يُملأ فضولها، فلتكن تربيتنا بعيدة عن الفراغات متجنبة للثغرات قدر المستطاع، وإلا حلَّت المفاهيم الخاطئة في العقول، واستعمرت النفوس، وترسخت في الصدور، مما يجعل اقتلاعها فيما بعد مهمة صعبة جدًا، لذلك فإن من الواجب أن نبتعد بأولادنا عن الهزَّات والبراكين التي قد يتعرضوا لها إذا لم نبنِ معلوماتهم في كل نواحي الحياة على أساس راسخ من العلم والإيمان»[(٢)].

---

(١) «موقع المسلم» مقالة بعنوان التربية الجنسية.

(٢) «ألف باء الحب والجنس» د. ليلى الأحدب ص[١٩٧].

«فالتربية الجنسية للطفل يجب ألا تترك للصدفة، بل لابد أن تبدأ في المنزل وتستمر في المدرسة، وعندما يكبر الطفل ويصبح في مقتبل سن المراهقة تعطى له معلومات واضحة عن الجنس السليم ومخاطره إذا انصرف الفرد وانساق وراء نزواته»[(١)].

٤- مرحلة المراهقة:

من أخطر مراحل التربية، فهي القنطرة بين الطفولة والرشد، مليئة بالتصرفات الغريبة والاضطرابات، يعتبرها الآباء أزمة ومرحلة عواصف هوجاء وزوابع، الأمر الذي يدفع للكتابة في هذا العنصر هو جهل الوالدين بالتعامل مع الأولاد في هذه المرحلة مع العلم بأنها من أشد المراحل احتياجًا للحذر والوعي في المعاملة وإلا ترتب عليها ما لا يحمد عواقبه.

«المرهقة تشير إلى تلك الفترة التي تبدأ من البلوغ الجنسي حتى الوصول إلى النضج، فالمراهقة إذن تشير إلى فترة طويلة من الزمن وليس لمجرد عارضة زائلة في حياة الإنسان، فالمراهقة عبارة

---

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» د. مصطفى محمد الطحان ص[٢٨٣].

عن مرحلة انتقال من الطفولة إلى الرجولة، وهي تمثل مجموعة من مظاهر النمو التي لا تصل كلها إلى حالة النضج في وقت واحد، وهي مرحلة خطيرة.. بل هي الأخطر في حياة الإنسان»[١].

خصائص المرحلة:

١- «من الناحية الجسمية تبدأ حالة من النمو السريع قبل سن البلوغ الجنسي بعام، وتستمر على هذا النحو مدة قد تصل إلى عامين أو أكثر، حيث تستطيل عظام الفتى، وتأخذ سمكًا جديدًا سريعًا وتأخذ العضلات في التكور والاشتداد، وتبدأ الغدد التناسلية في إفراز الهرمونات الخاصة بها، مما ينتج عنه ظهور الشعر في بعض أجزاء الجسم[٢]... ولكن نتيجة للنمو السريع الذي يفوق طاقته قد يصاب المراهق بالكسل والفتور، وينبغي عدم لومه على ذلك بل مساعدته في المرور من هذه المرحلة بسلام؛ فالتوبيخ أو التقريع قد يؤدي إلى نتائج غير سارة».

---

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[٢٩٦].
(٢) «دليل التربية الأسرية» عبد الكريم بكار ص[١٩٨].

٢- «يمتاز المراهق من الناحية الانفعالية والشعورية برهافة الإحساس، فهو يثور في كثير من الأحيان لأتفه الأسباب، كما هو شأن الأطفال الصغار، كما أن المراهق يجد نفسه في الفترة الأولى من المراهقة ضعيف التحكم في المظاهر الخارجية لحالته الانفعالية، حيث إنه إذا غضب، أو أثير يصرح ويرفس ويدفع الأشياء، ويبدو شيء من هذا عند شعوره بالفرح، فهو يقوم بحركات لا تدل على الاتزان الانفعالي»[(١)] أيضًا يشعر المراهق بالخجل نتيجة للنمو المفاجئ الذي طرأ على جسده مما يدفعه للاهتمام بنظر المحيطين به، مما يلاحظ أيضًا ميله إلى سلوك التحرر والتمرد ورغبته في مقاومة أي سلطة تمارس عليه.

٣- «عند بدء مرحلة المراهقة يرتفع مستوى الوعي الجماعي، حيث يبدي المراهق حاجة ملحة للانتماء إلى جماعة، ولاسيما حين يلاقي من والديه شيئًا من الضغط والتوتر. وهو يلح على محيطه الاجتماعي بإصدار الموافقة الضمنية على تصرفاته، وعدم الاعتراض عليها. وبما أن هذا ليس ممكنًا دائمًا فإن المراهق يبحث عن مجموعة

(١) «دليل التربية الأسرية» عبد الكريم بكار ص[١٩٨].

ضيقة ينتمي إليها، ويشيد بها، حيث يرى فيها النموذج الاجتماعي الأكثر ملاءمة لسنه ووضعه، وهو يخلص لتلك المجموعة أو (الشلة) إخلاصًا شديدًا، ويرى أنها في آرائها وسلوكياتها، تقدم له دعمًا خفيًا ومظاهرة قوية في موقفه تجاه سلطة والديه أو المدرسة»[(١)].

٤- قسم العلماء المراهقة إلى ثلاث مراحل:

مرحلة المراهقة الأولى (١١- ١٤) تتميز بتغيرات بيولوجية سريعة.

مرحلة المراهقة الوسطى (١٤- ١٨) مرحلة اكتمال التغيرات البيولوجية.

مرحلة المراهقة المتأخرة (١٨-٢١) مرحلة ظهور الرشد في التصرفات.

التعامل مع المراهق «ما هو المطلوب؟»:

«إن مشكلتنا معاشر المربين أننا كثيرًا ما نجد أنفسنا عاجزين عن مواكبة التغيرات السريعة التي تطرأ على شخصيات أبنائنا في

(١) «دليل التربية الأسرية» عبد الكريم بكار ص[٢٠١].

مرحلة المراهقة، فنعاملهم على أنهم أطفال غير قادرين على تدبر أمورهم كما نسيء فهمهم في بعض الأحيان، فنظن أنهم يناصبوننا العداء، أو أنهم فقدوا ولاءهم لأسرهم وباتوا يبحثون عن استقلال تام عنا»[(١)].

لا يسع الوقت لحصر كل الوسائل في التعامل مع هذه المرحلة ولكن سنستعرضها باختصار:

١- تقدير ما يمر به من تغيير وتطور في البنية الجسمية والعقلية وذلك «أن الآخرين ينتظرون منه سلوكًا ينم عن النضج، فهذا التطور والنمو الجسمي يجعلهم يتوقعون منه نضوجًا في سلوكه العقلي والاجتماعي، فإذا لم يحسن التصرف كما يريدون كان هدفًا لنقدهم...»[(٢)]، يجب أن نضع المراهق في مكانته الحقيقية فإنه لم يصبح رجلًا وإن كان هو يرى ذلك وهو ليس بطفل، وإن كانت تصرفاته توحي بذلك. «من الصعوبات التي نراها لدى الفتيان في هذه المرحلة تتعلق في جزء منها بسبب قصور في التركيب العصبي

---

(١) «دليل التربية الأسري» عبد الكريم بكار ص[٢٠٤].
(٢) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» مصطفى محمد الطحان ص[٣٠١].

لدماغهم، فكلمة: «أنت رجل وهذا لا يليق بك» تعبير غير صحيح أبدًا، كنا نعتقد أن نمو الدماغ يكتمل مع نهاية مرحلة الطفولة، لكن الأبحاث التي أجريت في المعهد الوطني للصحة النفسية في أمريكا تشير إلى أن دماغ الفتى بين سن الثالثة عشر وسن العشرين ما زال قاصرًا، وفي مرحلة النمو والتطور وخاصة تلك المناطق المسؤولة عن اتخاذ القرار والتقييم الصحيح للأمور وضبط النفس والانفعالات»[(١)]، نحن لا ندعو إلى التدليل الزائد ولا للمعاملة الصارمة، ولكن ندعو لتفهم هذه المرحلة الحرجة وأن نكون متوازنين في التعامل معهم.

٢- «لابد من أن يحاول الأب معاملة ابنه على أنه صديق له، وأن تحاول الأم معاملة ابنتها على أنها صديقة لها، فيتشجع كل منهما على بث همومه وتطلعاته وعلى الحديث عن آرائه العامة في القضايا المختلفة، فتسود الصراحة، ويلقي المراهق عن كاهله كثيرًا من الأعباء التي تقض مضجعه.

---

(١) د. ياسر عبد الكريم بكار، لقاء مع موقع المربي.

إن المراهق كثيرًا ما ينطوي على نفسه، وكثيرًا ما يستحيي من التحدث عن بعض الأمور، ومن واجبنا أن نشجعه على الانفتاح والبوح، وأن نقف موقف الحكيم المتفهم لما يصارحنا به»(١).

٣- تلبية حاجته للاستقلال عن طريق تخصيص مبلغ أسبوعي أو شهري لمصروفه الشخصي، كذلك إتاحة الفرصة في اختيار ملابسه وشرائها في ضمن إطار المعروف والمعقول، «المهم أن يشعر أننا مدركون للقدرات الجديدة التي اكتسبها، وأن يشعر أن ثقتنا به تتصاعد كلما شب عن الطوق ودنا من مرحلة الرجولة»(٢).



(١) «دليل التربية الأسرية» أ. عبد الكريم بكار ص[٢٠٦].

(٢) «دليل التربية الأسرية» أ. عبد الكريم بكار ص[٢٠٥].

الخاتمة

وفي نهاية المطاف... نود أن نكون أبلغنا الرسالة لمعاشر الملتزمين، في محاولة لترميم هذا الشرخ الكائن بالتيار الإسلامي، ومحاولة لتقنين الخسارة البشرية التي لحقت بالتيار بانحراف هذه الفئة.

فأهمس في أذن إخواني أن بإهمالنا لقضية التربية نقدم صفقة رابحة لأعداء هذه الأمة، فالعلاقة طردية بين التربية وبين كثرة سواد التيار الإسلامي، وكيف لا؟! والبشر هم الأساس الذي ترتكز عليه بقية عناصر القوة، فكم خسرنا من إمكانات ومواهب وقدرات بسبب إهمالنا وجهلنا بأمر التربية.

فيجب علينا خلع عباءة الجهل واستبدالها بعباءة العلم، واستبدال الخبرات العجاف المبنية على الخبرات الخاطئة والمعلومات المتردية بالخبرات السمان القائمة على العلم والوعي والخبرة الصحيحة.

إن أعداء هذه الأمة يعملون على قدم وساق من أجل إفساد شبابها ونشر الأفكار الباطلة بينهم ويعملون جاهدين لتوجيه الضربات للتيار الإسلامي، فلا يليق بأبناء التيار الإسلامي أن يأخذوا الأمر على محمل الهزل والترف.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين